رفع الريب

عما نال المصطفى من علم الغيب

المسمّى

الدولة المكية بالمادة الغيبية

للإمام أهل السنة

أحمد رضا خان البريلوي القادري

تقديم

د. محمد عبد القادر نصار

رفع الريب

عما نال المصطفى من علم الغيب

المسمى الدولة المكية بالمادة الغيبية

إمام أهل السنة بشبه القارة الهندية

للشيخ الإمـــام

أحمد رضاخان البريلوي الحنفي

ت ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م

تحقيق

دكتور/ محمد عبد القادر نصار

مقدمة المحقق

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته نعتق من النيران والدركات، وبهدايته ننال فراديس الجنات. سبحانك ربي في مقام شكرك، سبحانك ربي في مقام ذكرك، سبحانك ربي في مقام تعليمك خلقك، سبحانك لا أحصي ثناء عليك، أنت يا رب كما أثنيت على نفسك.

وأسأله تعالى به أن يصلي على سيد من أفاض عليه المعلومات، وأخبره بخبر من مضى ومن هو آت، وأخلفه آلاً وصحباً وتابعيهم ينهلون من علومه ﷺ درجات فوق درجات، وأن يسلم عليه وعليهم عدد مقادير الصلوات والزكوات والصوم والحج وسائر الطاعات.

أما بعد، فيقول العبد الفقير محمد بن عبد القادر نصار النقشبندي الجودي، الذي كان ولم يزل شيئاً منكوراً، مقراً بأنه تعالى كان ولم يكن معه ثان ولم يزل على ما عليه كان، وأن وجودي ما كان شيئاً مذكوراً، وكمال الإذعان ألا أكون بذلك لا محزوناً ولا مسروراً، فالعبد المعدوم الوجود الذاتي في حال نفيه ليس له حال يكون به مُثبَتاً أو مقروراً:

لي مع هذا الكتاب قصة يجدر أن تذكر. فمنذ عدة سنوات تحصلت على بعض كتب طبعتها دار الحقيقة المنتسبة للطريقة النقشبندية بتركيا، ووجدت في آخريات بعضها فهارس للكتب التي طبعتها المكتبة، وكان منها كتاب ((مقامات شاه نقشبند)) بالفارسية، فأردت الحصول عليه ودفعه لمن يترجمه لأتنشق به نسيم رَوح حضرة مولانا شاه نقشبند ﵁ ، فأرسلت إليهم طالباً إياه.

وأكاد أكون نسيت الأمر حتى جاء البريد بكتابين على سبيل الهدية ليس فيهما الكتاب المطلوب وأحدهما هذا الكتاب، فشرعت في قراءته على صعوبة لأن

الطبعة مصورة من طبعة حجرية تشبه المخطوطة والخط ليس مبيناً والشيخ غواص على علوم مختلفة منها ما كان تيسر لنا الإلمام به ومنها ما لم يكن تيسر. فوجدت بالكتاب تحقيقات وإلزامات للمخالف لا يمكن الفكاك من تبعاتها.

ثم دهشت من أسلوب الشيخ في الرد على مخالفيه، فقد تعودنا أن يكون للوهابية والمتأثرين بهم اليد الطولى في الهجوم على التصوف ومفاهيمه ثم نرى الصوفية يدافعون عن تصوفهم ومفاهيمه بنبرة هادئة، ولعل هذا كان يثير تساؤولاً في ذهني: لماذا يبقى الصوفية في موقف الدفاع والمساحة التي كان يحتلها التصوف في عقول الناس وقلوبهم قد انكمشت بما جر ذلك من بلاء على الأمة؟ فالصوفية المتحققون المتشرعون هم حملة مصابيح الهدى، ولكن الوقت وقت جهاد بالقول والدعوة، فينبغي أن يجد المخالف فيهم غلظة.

فوجدت هذه الشدة المحمودة عند الشيخ على شيء من التزيِّد لعل مرجعه إلى أن الشيخ وقد وجد نفسه مدافعاً عن مجموعة من المفاهيم التي ترسخت عند أهل السنة تتعلق بعظمة ذات النبي وبالاحتفال بمولده الشريف وبعلاقة الأحياء بالأولياء المنتقلين، رأى أن تهديد بعض المدارس الفكرية لرسوخ هذه المفاهيم يحتاج لمثل هذه الحدة، هذا مع أن القارئ ينبغي أن ينتبه إلى أن الفرقة التي يتوجه إليها الشيخ بالنقد على أنها فرقة وهابية هي في الحقيقة فرقة الديوبندية، وهي تختلف عن الوهابية في أمور رئيسة:

أولاً: هم في العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة الماتريدية والأشاعرة، فليس فيهم من دواهي التجسيم الوهابية شيء، اللهم إلا في عدم شدتهم مع الوهابية في هذه المسائل.

ثانياً: هم من جملة الصوفية ويأخذون من مشايخهم الطرق الأربعة المشهورة في هذه البلاد وهي النقشبندية والجشتية والقادرية والسهروردية. والوهابية يعدون هذه الطرق من جملة البدع.

ثالثاً: هم أحناف في الفروع ولهم بمذهب الإمام الأعظم تمسك واعتناء وجهود مشكورة في إعلاء هذا المذهب العظيم. والوهابية المتأخرون خاصة لامذهبية وفيهم شنآن خاص لمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه.

ويتفقون مع الوهابية في مسألة الاستغاثة خاصة، وفي تبديع القيام للنبي صلى الله عليه وسلم في قراءة المولد، كما ينسب إليهم الإعراض عن الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم فضلاً عن لينهم مع الوهابية.

ومضت السنون، ولي بالكتاب بعض اعتناء حتى صرت ناشراً فكان ((الدولة المكية)) من بين أولوياتي. وتيسر جمعه حاسوبياً ولكن بقيت مواضع لم أتبينها لما تقدم من سبب. وفي يوم أتاني أخ سريلانكي يدرس بالأزهر ومنتسب للطريقة القادرية من غير طريق السيد أحمد رضا خان فذكرت له الكتاب، فلم يزل ساعياً في تحصيل نسخة أخرى منه حتى جاءني بنسخة من بعض المنتسبين للشيخ ممن يدرسون بالأزهر. فشرعنا في المطابقة بين النسخين وتصحيحهما في نسخة تجمع محاسنهما وتتجنب سقيمهما، ثم بذلنا بعض الجهد في تخريج الأي والحديث ووضعنا بعض التعليقات حتى وصل الكتاب إلى صورته الحالية التي هي نتاج جهد من عدد من الإخوة الكرماء.

وقد أتاني الإخوة البريلوية بكتب كثيرة من تراث الشيخ أو عن الشيخ وجهوده الشرعية والأدبية، فوجدت فيه مادة محيرة في كثرتها خاصة والشيخ كان غزير التآليف وجل تأليفه كان فيما تشتد الحاجة إليه من المعارف الشرعية، فقد كان رضي الله مقياساً لنبض الناس، ولم يكن فقهه بعيداً عن اهتماماتهم.

وقد أثنى كثير من العلماء والباحثين على غزارة تآليف الشيخ وسيلان ذهنه العجيب وشعره السامي. ولكني والحق أقول ما توصلت إلى معرفة الشيخ معرفة صوفية تنطق بفضله في الطريق ومكانته في علم السلوك ومواهبه فيهما.

والحال أن هناك تقصيراً في هذه الناحية من محبي الشيخ إما في توفير هذه المادة تحديداً لنا أو في توجيه الأنظار إليها والاعتناء بنشرها. فالشيخ مع جهوده العلمية العظيمة كان شيخ طريقة انتشرت عنه انتشاراً عظيماً، وهذه في ذاتها كرامة، ولكن ليس من شيء مما يستأنس به في معرفة مواهب الشيخ الصوفية ومعارفه التحقيقية وما قد يكون وقع على يديه من خوارق العادات. فلعل أنظار مريدي الشيخ وهم بالملايين تتجه إلى تيسير شيء باللغة العربية يفي ببعض المراد، خاصة وهم يسعون لنشر علومه في كل مكان دخلوه ولا سيما والشيخ له كثير من الأعداء العلميين والمذهبيين.

لذا ستكون ترجمتنا للشيخ من باب ترجمات من قبلنا والكل مقصر في حق الشيخ حتى لو انصرف الكلام إلى مؤلفاته، لأن جهوده العلمية لم تحصر، وحجم إسهامه في العلوم الشرعية عطل الإحاطة به مسائلُ عملية مختلفة خاصة فيما يتعلق بجودة الطباعة والاعتناء بالكتب.

ترجمة مختصرة للشيخ

هو السيد محمد الشهير بأحمد رضا بن نقي علي خان كما سماه جده السيد علي رضا، وهو الاسم الذي عرف به واشتهر كما لا يخفى، ولقب نفسه بعبد المصطفى بمعنى خادمه توكيداً على هضم نفسه في جانب الجناب المحمدي الأعظم صلى الله عليه وسلم.

ولد يوم الاثنين العاشر من شهر شوال عام ١٢٧٢ هجري الموافق للرابع عشر من يونيو عام ١٨٥٦ م بمدينة بَريلي بالهند وبها اشتهر لقبه فعرف بالبَرِيلَوِي.

وينتسب إلى أسرة كريمة مشهورة بالعلم في قندهار بأفغانستان. وكان والده السيد نقي علي خان نال الطريقة القادرية من الشاه آل رسول المارهروي، كما نال إجازة الحديث الشريف من مفتي مكة العلامة أحمد زيني دحلان المكي.

وقد بدأ دراسته في سن مبكرة وظهرت عليه رحمه الله أمارات النبوغ منذ نعومة أظفاره.

وتلقى الطريقة القادرية من شيخ والده، الشاه آل رسول المارهروي المتقدم في عام ١٢٩٤ ثم عن نائب الشيخ الشاه أبي الحسين أحمد النوري.

واستوعب رضي الله عنه العلوم الشرعية استيعاباً كاملاً، وتنوعت تلك العلوم التي أتم استيعابها فشملت كل علوم الشرع وعلوم الآلة من لغة وبلاغة ومنطق وحساب وهيئة وهندسة وغيرها حتى بلغ ما برع فيه من العلم خمسة وخمسين علماً.

وحج مع والده سنة ١٢٩٥ فنال إجازة الحديث من العلامة زيني دحلان السابق ذكره ومن الشيخ عبد الرحمن سراج مفتي الأحناف ببلد الله الحرام، ونال إجازة الصحاح الستة والطريقة القادرية من الشيخ حسين صالح جمل الليل المكي، رحمهم الله جميعاً.

كما نال إجازة الحديث من شيخه في التربية الصوفية الشاه آل رسول المتقدم وهو أخذ عن علامة الهند الشاه عبد العزيز الدهلوي صاحب ((التحفة الإثنى عشرية)) في الرد على الروافض وهو عن والده الإمام شاه ولي الله الدهلوي صاحب ((حجة الله البالغة)).

ولما حانت وفاته سأل عن الوقت فأجاب ابنه الأكبر: الساعة الثانية إلا خمس دقائق، فقال الإمام لأخيه اذهب وتوضأ. ثم أمر الإمام ابنه بقوله: اقرأ سورة يس وسورة الرعد، لما ورد من تسهيلهما خروج الروح وتخفيفهما سكرات الموت، فسمعهما الإمام بتمام الخشوع.

ثم طفق يدعو بأدعية السفر ثم أخذ في ترديد ((لا إله إلا الله محمد رسول الله)) وبعد دقيقتين صعدت روحه إلى بارئها، وذلك في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٠، الموافق ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢١م بمدينة بريلي.

وخرجت الجموع الجمة لجنازته رضي الله عنه حتى ضاقت بها الساحات، ودفن بمدرسته في بريلي.

أما عن مؤلفاته فدونك البحر الخضم، وهو من أكثر المتأخرين تأليفاً حتى قال أبو الحسن الندوي إنها وصلت إلى خمسمائة مؤلف أكبرها فتاواه الرضوية. وسنكتفي بذكر عيونها.

فمنها في التفسير حواش على تفاسير البيضاوي والخازن والسيوطي أي الدر المنثور، ولعمري لقد كفى بها، فإن من العلماء من لم يشتهر ذكره إلا بواحدة من مثل هذه الحواشي، بل له غير ذلك من المؤلفات في التفسير.

ثم له في أصول التفسير وعلوم القرآن حاشية على الإتقان للإمام السيوطي، ورسالة في رسم أحرف القرآن الكريم، وله غير ذلك.

وفي علوم الحديث إجازات متعددة لعلماء الحرمين نخص منهم بالذكر العلامة عبد الحي الكتاني، ثم حاشيته على إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، وله مما لم يطبع ((الأحاديث الراوية لمجد الأمير معاوية)) رضي الله عنه وخصصنا هذه بالذكر هنا تأكيداً على موافقة الشيخ لعقيدة أهل الولاية والصلاح والنفاذ في الملكوت من أكابر أهل السنة والجماعة، وله في نفس الموضوع رسالتان أخريان على الأقل. وله حاشية على الإصابة لابن حجر وحاشية على تهذيب التهذيب وحاشية على التيسير للمناوي بشرح الجامع الصغير، وكذا على فيض القدير للمناوي كذلك، وحاشية على جامع الترمذي وعلى الخصائص الكبرى

للسيوطي وعلى ابن ماجة والدارمي والنسائي وحاشية على نخبة الفكر في المصطلح وعلى الصحيحين وعلى الطحاوي فلعله معالم الآثار، وعلى كنز العمال فأعظم بها، وعلى مسند الإمام أحمد وعلى المقاصد الحسنة للسخاوي وغير ذلك عدة.

وفي الفقه وأصوله له الفتاوى الرضوية الجليلة في اثني عشر مجلداً فلعله أوسع ما ألفه المحدثون في الفقه، وحاشيته على حاشية ابن عابدين في خمسة مجلدات، وعدة رسائل في الرد على الوهابية، وفتاوى كثيرة وحاشية على بدائع الصنائع وغير ذلك عشرات لا يملك الناظر في عناوينها إلا أن يشهق قائلاً سبحان الله المعطي الوهاب!!

ثم نخص بالذكر له حاشيته على ميزان القطب الشعراني رضي الله عنهما وحاشية أخرى على اليواقيت والجواهر، فشكر الله سعي هذا الإمام على عنايته بكتب الإمام الشعراني.

وكثيراً من كتبه لم يزل مخطوطاً. ولم نورد هنا إلا بعض ما ألف الشيخ بالعربية، وله بالأردية عشرات وعشرات كذلك، وبعض الكتب بالفارسية أيضاً وخاصة في الحساب والهيئة.

فأدنى نظر إنصاف يقضي بإمامة الشيخ أحمد رضا خان إمامة تامة وتقدمه بين أهل السنة والجماعة لا يسع المرء إنكاره حتى لو كان من مخالفي الشيخ، فإن هذا الأمر يصير بها تقدم كالشمس في رابعة النهار.

ويكفي في هذا الصدد قول العارف بالله العلامة يوسف النبهاني مقرظاً كتابنا هذا: ... فوجدته من أنفع الكتب الدينية وأقواها ولا يصدر إلا عن إمام كبير، علامة نحرير، فرضي الله عنة مؤلفه وأرضاه، وبلغه من كل خير مناه. أهـ

الكتاب وعملنا فيه

في السفرة الثانية للإمام رضا خان إلى الحجاز الأشرف، طلب إليه تحقيق مسألة علم النبي صلى الله عليه وسلم بالغيب ومدى وسعه، ورغم ظروف السفر والحاجة إلى التنقل، فقد استطاع الإمام إنجاز هذا الكتاب القيم جداً بتحقيقاته الباهرة في ثلاثة أيام، بل إن المصنف رضي الله عنه أرسل كتابه مبيضاً محرراً إلى الطالبين وهم من علماء الحجاز في هذه المدة القصيرة.

وقد روى الإمام قصة هذا الإنجاز في آخر كتابه إذ يقول:

الحمد لله! كان العبد الضعيف أتم القسم الأول في النهار الأول في سبع ساعات، ثم زاد فيه النظر السادس للإفادة، وكتب اليوم مع كثرة الأشغال القسم الثاني بعد الظهر، وأتمه في نحو ساعة وزيادة.

فتم بحمد الله تعالى لثلاث بقين من ذي الحجة يوم الأربعاء، قبل العصر. أهـ.

وعليه فقد أتم المولف هذا الكتاب في أقل من عشر ساعات كما أفاده نجله السيد حامد رضا خان.

ويلاحظ ما يلي على حواشي الأصل:

بعد أن أتم جواب المسألة أضاف في الكتاب عدة إضافات، بعضها بمكة المكرمة فرمز لها في الكتاب بكلمات تشير إلى المحل الذي عمل فيه تلك الإضافات:

- ما أضافه في مكة بعد أن أرسل الجواب للعلماء رمز له بكلمة "مكية".
- ما أضافه في المدينة المنورة بصحابها ﷺ رمز له بكلمة "مدنية".

- ما أضافه بعد عودته للهند رمز له بكلمة "جديدة". ثم كان هناك بعض حواش أضافها العلامة حمدان الونيسي المالكي المدرس بالحرم النبوي الشريف فرمز لها بكلمتي "حمدانية مدنية".

فليتنبه القارئ لذلك كي لا تربكه تلك الإشارات.

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة بالهند وباكستان وطبع بتركيا كذلك بمعرفة وقف الإخلاص أو مكتبة الحقيقة، رأينا منها اثنتين لا تخلوان من أخطاء، فمنها الطبعة المصورة عن الحجرية التي وردتنا من تركيا ونشير إليها في الكتاب بحرف (ب).

ومنها طبعة بحرف حديث طبعت في الهند سنة ٢٠٠٢ م بمعرفة الناشر مركز أهل السنة بركات رضا، وفيها عمل جيد للمحقق الأستاذ ضياء مصطفى المنصوري ومقدمة ضافية للدكتور حازم أحمد محفوظ بكلية اللغات والترجمة بالأزهر الشريف، وإن لم تخل هذه الطبعة من هنات قليلة لعلها نتجت من عدم وضوح الأصل، والبادي لنا أن هذه الطبعة وما قبلها اعتمدت الطبعة الحجرية التي صورت منها النسخة (ب) وقد توصل إلى بيان بعد غوامضه ثم تبقت مواضع اجتهدنا فيها قدر الطاقة. وقد رمزنا لهذه الطبعة بالحرف (أ).

وقد جمعت طبعتنا بين محاسن هاتين الطبعتين المتقدمتين ونرجو من فضل الله الجواد أن تكون طبعتنا قد تجاوزت الطبعات الأخرى في الدقة ووضوح التنسيق والطباعة.

وقد أوردنا جملة مختارة من التقاريظ الكثيرة التي تضمنتها النسخة (أ) واقتصرنا عليها لأن ظروف النشر لدينا تختلف عنها لدى غيرنا. ومن أهم هذه التقاريظ تقريظ سيدي يوسف بن إسماعيل النبهاني رضي الله عنه، ولأن الإخوة

في شبه القارة حريصون على تبديد ما لصقه خصوم الشيخ به من ادعاءات وأكاذيب، ونحن لا حاجة لنا بذلك في هذا المقام.

والكتاب يحوي حواشي للشيخ وحواشي لغيره أبانت عنها الطبعتان اللتان اعتمدناهما أصلين في آخر كل حاشية بما يفيد مؤلفها إن كان الشيخ أم غيره.

وقد أثبتنا حواشينا أسفل هذه الحواشي فجاء الكتاب في ثلاثة مستويات طباعية، متن، وحواشي تأليف وتعليق من غير المؤلف، وحواشي تحقيق، وقد رمزنا إليها بعلامة (*) أو (**) أو زيادة على ذلك بحسب عدد الحواشي في الصفحة الواحدة.

وقد خرجنا الآيات القرآنية الكريمة داخل متن الكتاب وهي طريقة جيدة لا تربك القارئ بكثرة الحواشي السفلية.

وكذا خرجنا الأحاديث الشريفة متعددة المصادر ومنها ما اشتهر ومنها ما لم يشتهر ويتطلب مجهوداً لتخريجه.

وعرفنا للأعلام المهمة بما يجعل القارئ ملماً بخلفيات الخصوم والموافقين للشيخ ممن يقتبس من كلامهم أحياناً.

كما أعطينا للكتاب عنواناً جديداً يكشف عن مضمونه وهو ((رفع الريب عما نال المصطفى من علم الغيب)) تحرينا فيه عدم الإيهام بتساوي علم النبي صلى الله عليه وسلم بالغيب بعلم الله به، كي لا يعترض علينا أصحاب الهوى.

والعنوان الأصلي للكتاب هو ((الدولة المكية بالمادة الغيبية))، وهو بحساب الجمَّل التي يعطي كل حرف فيه قيمة عددية ١٣٢٣ وهي سنة تأليف الكتاب.

و يأتي هذا الكتاب في وقت تعرضت فيه ذات النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لقدح سفهاء الغرب والشرق، ونعتقد أن في نشره خدمة إيمانية جليلة لهذه

الأمة، فمعرفة شرف النبي صلى الله عليه وسلم وقدره عند المولى عز وجل، وجلاء حقيقة العظمة النبوية المحمدية هو غاية من غايات حياة المسلم، ففي بيان عظمة النبي صلى الله عليه وسلم تثبيت لحقيقة الإيمان بالنبوة عامة وبالنبوة المحمدية خاصة.

والله نسأل أن ينفع به قارئه وأن يثيب كل من ساهم في إخراجه خير الثواب، إنه نعم المولى ونعم النصير.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

الحمد لله علام الغيوب غفار الذنوب ستار العيوب المُظْهِرِ من ارتضى من رسول على السر المحجوب، وأفضل الصلاة وأكمل السلام على أرضى من ارتضى وأحبِ محبوب سيد المطلعين على الغيوب، الذي علمه ربه تعليماً وكان فضل الله عليه عظيما فهو على كل غائب آمين وما هو على الغيب بضنين ولا هو بنعمة ربه بمجنون مستورٍ عنه ما كان أو يكون.

فهو شاهدُ الملك والملكوت ومشاهدُ الجبار والجبروت ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ (النجم: ١٧) على ما يرى أنزل عليه القرآن تبيان لكل شيء فأحاط بعلوم الأولين والآخرين، وبعلوم لا تنحصر بحد وينحسر دونها العد، ولا يعلمها أحد من العالمين، فعلوم آدم وعلوم العالم وعلوم اللوح وعلوم القلم كلها قطرة من بحار علوم حبيبنا ﷺ لأن علومه وما يدريك ما علومه عليه صلوات الله تعالى وتسليمه هي أعظم رشحه وأكبر غَرفة من ذلك البحر الغير المتناهي، أعني العلم الأزلي الإلهي فهو يستمد من ربه والخلق يستمدون منه، فما عندهم من العلوم إنما هي له وبه ومنه وعنه:

وكلهم من رسول الله ملتمس   غرفا من البحر أو رشفا من الدِيَمِ

وواقفون لديه عند حَدِّهِمِ   من نُقْطَةِ العِلْمِ أو من شَكْلَةِ الحِكَمِ(*)

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبارك وكرم، أمين.

(*) البيتان من بردة الإمام البوصيري ﷺ.

وبعد فقد أتاني وأنا حِلٌّ بالبلد الحرام، سؤال من بعض الهنود في علم سيد الأنام، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، وقت العصر يوم الاثنين لخمس بقين من ذي الحجة، عام ألف وثلاثمائة وثلاث وعشرين من هجرة مَنْ أَتمَّ الحَجة وأوضح المَحَجَّة، عليه من الصلوات أكملُها ومن التسليمات أفضلها.

وأظنه ناشئاً من بعض الوهابية الذين قد سبوا الله ورسوله ﷺ جلَّ وعلا وصلى الله عليه وسلم سباً(*) وأشاعوا بذلك في الهند كتباً، وذلك لأن السني إن احتاج هاهنا أن يسأل علماء، فهذا بلد الله الأمين ممتلئ بحمد الله علماً وعلماء، فمن كان عند البحار الزواخر، فما مضيه إلى نهر في الآخِر؟! على أن سادتنا علماء مكة المكرمة حفظهم الله تعالى قد شرحوا مسألة علمه ﷺ وسائر المسائل التي تَخالفَ فيها الوهابيِ الأظلم لا مرة ولا مرتين، وقد كشفوا الرين، وأفادوا الزين، وأبادوا الشين، وأقاموا على الوهابية الحين(**).

وهذا العبد الضعيف بفضل ربه القوي اللطيف، أباً عن جد في خدمة السنة الزهراء، مقيمٌ على الوهابية الطامة الكبرى، صنف كتباً تزيد على مائتين(١)، ودعا كبراءهم إلى المناظرة لا كرةً ولا كرتين فما أحار أحد منهم جواباً، وبهت الذين كانوا يسبون نبينا سباباً، وكانوا ينسبون إلى ربنا كذباً كِذَّاباً فهربوا وشردوا، وماتوا، وخمدوا، ومن بقي منهم فسترون إن شاء الله تعالى أن سيموت، حائراً بائراً وهو أخرس مبهوت فهذا ما يغيظهم.

---

(١) أي في الرد على الوهابية وإلا فقد بلغت بحمد الله أربعمائة منها فتاوى في اثنى عشر مجلدا كبار.

(*) المقصود سبوا الله جل وعلا ورسوله ﷺ وهو من قبيل اللف والنشر.

(**) الحَيْنِ: الهلاك والمحنة.

وقد علموا أني بمكة منقطع عن كتبي مشتغل بزيارة بيت ربي، مستعجل إلى بلد مولاي وحبيبي ﷺ فأثاروا هذا السؤال، طمعاً منهم أن يمنعني الاستعجال، وشغل البال، وفقدان الكتاب، عن إبانة الجواب، فيكون في ذلك عيد لهم ومسرة، ونوعُ عِوَضٍ عما أصابهم من المعرة، إن سكتُّ أيضا مرة كما أُسْكِتَ كبراؤهم ألف مرة.

وجهلوا أن هذا الدين المتين مأمون، وكل من ينصره منصور ومصون، وإنما أمر الله إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فهذا ما فهمتُ من هذا السؤال، والعلم بالحق عند ذي الجلال، فالأحسن تقسيم الجواب إلى قسمين: قسم للسائل المستفيد، وآخر على الصائل العنيد، ليصل كلٌّ ما يستأهله، ويجاوب كل بما هو أهله.

القسم الأول

في كشف الحجاب عن وجه الصواب

في هذا الباب وفيه أنظار تنتقي اللُّباب(*)

(*) اللباب: خالص كل شيء، ولُباب الجوز واللوز ونحوهما: ما في جوفه. المعجم الوسيط ٨١١.

النظر الأول

في محامل النفي والإثبات

اعلم أن ملاك(*) الأمر ومناط النجاة الإيمان بالكتاب كله، وما ضل أكثر من ضل إلا أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، كالقدرية آمنوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ٥٧)

وكفروا بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦) والجبرية آمنوا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٩) وكفروا بقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

والخوارج آمنوا بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ (الانفطار: ١٤- ١٥) وكفروا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (النساء: ٤٨).

ومرجئة الضلال آمنوا بقوله تعالى: ﴿ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣)، وكفروا بقوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (النساء: ١٢٣) وأمثال ذلك كثيرة، في كتب الكلام شهير.

والقرآن العظيم الذي نص أنه: ﴿ لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (النمل: ٦٥) نص أيضا أنه لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول.

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، وقال: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (التكوير: ٢٤).

(*) بفتح الميم وكسرها: قوام الأمر وخلاصته.

وقـال: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٣).

وقـال تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٢).

وقال تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾ (هود: ٤٩) إلى غير ذلك من الآيات.

فهذا ربنا تبارك وتعالى قد نفى نفياً لا مرد له وأثبت إثباتا لا ريب فيه، فالكل حق والكل إيمان، ومن أنكر شيئاً منها فقد كفر بالقرآن، فمن نفى مطلقا ولم يثبت بوجه فقد كفر بآيات الإثبات، ومن أثبت مطلقاً ولم ينف بوجه فقد كفر بالآيات النافيات، والمؤمن يؤمن بالكل، ولا تتفرق بـه السبل وهمـا لا يمكـن لهـما مـورد واحد، فوجب الفحص عن الموارد.

فأقول: وبحول ربي أحـول. وفي ميـدان التحقيـق أجـول، وعـلى مـن لَبَّسَ ودلس أصول، إن للعلم قسمة[1] بحسب المصدر وقسمة بحسب المتعلَق بفتح اللام، وتتشعب منها قسمة أخري بحسب وجه التعلق.

---

(١) لله در المؤلف في هذا التقسيم المشتمل على غاية التبيين والتفهيم الـذي لم يبـق معـه غبـار في الفرق بين علم الله وعلم العباد، وأزاح به ما قـد يتوهمـه القـاصرون مـن عبـارات أهـل الـسنة والتحقيق «أن النبي ﷺ يعلم الغيب» من المساواة المبنية على عدم التدبر في كلامهم رضي الله تعالى عنهم، فما أنوره من كلام وأرشقه من استدلال يتلألأ، هكذا، هكذا وإلا فـلا لا»، (كتبـه العبـد الفقير حمدان الونيسي المالكي المدرس بـالحرم النبـوي الـشريف غفـر الله لـه آمـين). *هـذا أول الحواشي التي شرف بها كتابي علامة المغرب فضيلة مولانا حمدان حمد سعيه الرحمن آمين، والحمد لله رب العالمين. انتهى.*

إما الأولى فهي أن العلم إما ذاتي[1] إن كان مصدره ذات العالِم لا مدخل فيه لغيره عطاءً ولا تسبباً.

وإما عطائي إذا كان بعطاء[2] غيره.

فالأول: مختص بالمولى سبحانه وتعالى لا يمكن لغيره، ومَنْ أثبتَ شيئا منه ولو أدنى من أدنى من أدنى من ذرة لأحد من العالمين فقد كفر وأشرك وبار وهلك.

والثاني مختص بعباده عز وجلاله لا إمكان له فيه، ومن أثبت شيئا منه لله تعالى فقد كفر، وأتى بما هو أخنع وأشنع من الشرك الأكبر لأن المشرك من يسوي بالله غيرَه، وهذا جعل غيره أعلى منه حيث أفاض عليه علمه وخيره(*).

---

(١) هذا تقسيم واضح جلي نطق به علماء الإسلام في غير ما وضع وفي نفس مسألتنا هذه مسألة علم الغيب، وسيأتي عن الإمام الأجل أبي زكريا النووي والإمام ابن حجر المكي التصريح بأن المنفي عن الخلق هو العلم الاستقلالي والعلم المحيط الكلي، ولكن العجب ممن يؤمن بصحة هذه التقسيمات ثم يدندن عليها بأنها وإن كانت صحيحة في نفسها لكنها من التدقيقات الفلسفية التي لا يعتبرها علماء الشرع وأرباب العقول السليمة في فهم معاني الكتاب والسنة إلى أن ادعى في ذلك إيقاعا للمسلمين في حيرة عظيمة. وحلاً لعرى الدين الوثيقة!

ثم لم يلبث إلا قليلاً أن جاء بالنقل المذكور عن الإمامين الجليلين النووي وابن حجر وحملهما العلم في آيات النفي على العلم المستقل والمحيط، فكأنهما لم يكونا عنده من علماء الشريعة ولا من أرباب العقول السليمة، وأوقعا المسلمين في حيرة عظيمة. وَحَلّا - معاذ الله - عرى الدين الوثيقة، فإن كانا كذلك - أجارهما الله عن ذلك - فَلِمَ يحتج بهما ويستند بكلاهما جاعلا إياهما من أئمة الدين؟! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى. منه حفظه ربه مدنية

(٢) اعلم أن ما كان بسبب من غيره لابد أن يكون بعطاء غيره فإن سببية الغير لا مدخل لها إلا في علوم الخلق وهي جميعا بعطاء الله تعالى فالشيخ مثلا سبب في علم التلميذ والمعطى هو الله سبحانه فلا يتصور ما يكون بسبب غيره لا بعطاء غيره حتى يكون واسطة بين القسمين فتثبت. انتهى.

(*) لأن العلم الحاصل لله لا يكون بعطاء من غيره، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأما الثانية فهي أن العلم علمان:

مطلق العلم وأعني به المطلق الأصولي الذي يقتضي إثباته ثبوت فرد ما ويقتضي نفيه انتفاءَ جميع الأفراد وهو الفرد المنتشر أو الطبيعة الممكنة من أي فرد شاءت كما حققه خاتمة المحققين، سيدي الوالد قدس سره الماجد في كتابه المستطاب «أصول الرشاد لقمع مباني الفساد»، فالقضية الإيجابية هاهنا موجبة جزئية تعم الكلية، والسلبية سالبة كلية(*).

والعلم المطلق وأعني به مؤدى أداة العموم والاستغراق الحقيقي الذي لا يثبت إلا بثبوت جميع الأفراد وينتفي بانتفاء فرد ما، فالموجبة هاهنا كلية والسالبة جزئية(**).

ويتنوع من التعلق إلى وجهين جهة الإجمال وجهة التفصيل(***) بحيث يمتاز فيه كل معلوم وينحاز فيه كل مفهوم أعني ما علمه العالم كلاً أو بعضاً.

فهي أربعة أقسام:

واحد منها مختص بالله سبحانه وتعالى وهو العلم المطلق التفصيلي المدلول بقوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

فإن ربنا تبارك وتعالى يعلم ذاته الكريمة وصفاته الغير المتناهية والحوادث التي وجدت والتي توجد غير متناهية إلى أبد الأبد والممكنات التي لم توجد ولن توجد بل والمحالات بأسرها، فليس شيء من المفاهيم خارجاً عن علمه سبحانه

(*) إذا أثبتنا مطلق العلم لشخص فهو ثبوت جزئي يشمل بعض أفراد العلم لا كل العلم، وإذا نفينا مطلق العلم فهو سلب لجميع أفراد العلم عن المنفي عنه العلم.

(**) إذا أثبتنا العلم المطلق فقد أثبتنا جميع أفراده لمن يثبت له، وإذا نفينا العلم المطلق فلا يعني هذا انتفاء جميع أفراده.

(***) وهي القسمة الثانية التي أشار إليها ص٢٢.

وتعالى يعلمها جميعاً تفصيلاً تاماً أزلاً أبداً وذاته سبحانه وتعالى غير متناهية وصفاته غير متناهيات وكل صفة منها غير متناهية، وسلاسل[1] الأعداد غير متناهية. وكذا أيام الأبد[2] وساعاته وأناته وكل نعيم من نعيم الجنة وكل عذاب

---

(١) إذا سئلنا عن أيام الأبد وما ذكر بعدها هل يعلم المولى سبحانه وتعالى عددها؟ فإن قيل لا فما أبشع هذا النفي، وإن قيل نعم لزم تناهي تلك الأشياء لأن العدد المعين لا يعرض إلا المتناهي لأنه محصور بين حاصرين، ولأنه لا يزيد على ما قبله إلا بواحد وكذا هو على ما قبله وهكذا إلى الواحد والزائد على متناه بمتناه متناه، بل يقال كما في «الفتاوى السراجية» أن المولى سبحانه وتعالى يعلم أن لا عدد لها.

أقول: وهذه رعاية أدب كما أشرت إليه وإلا فعلم عدد لما لا عدد له جهل يجب نفيه. فلو اختير الشق الأول لم يكن إلا كقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (يونس: ١٨). انتهى.

(٢) بل أقول: هذا المعلوم وحده من معلوماته سبحانه غير متناه في غير متناه فضلا عن المعلومات الأُخَر، وإليه أشرت بقولي سلاسل بالجمع، وذلك لأن واحد، اثنين، ثلاثة إلخ غير متناه وإن أخذنا الأفراد واحد، ثلاثة، خمسة إلخ فغير متناه، وإن أخذنا الأزواج اثنين، أربعة، ستة إلى أخره فغير متناه، وإن أخذنا من الواحد بفصل مثنى: واحد، أربعة، سبعة، عشرة إلخ فغير متناه، أو من الاثنين كذلك: اثنين، خمسة، ثمانية، أحد عشر إلخ فغير متناه، أو من الواحد بفصل ثلاثة ثلاثة: واحد، خمسة، تسعة، ثلاثة عشر فغير متناه، أو من الاثنين بفصل مثلث: اثنين، ستة، عشرة، أربعة عشرة فغير متناه.

وهكذا بفصل الأعداد الغير المتناهية. وكذا إن أخذنا من كل عدد بضم مثله واحد اثنين أربعة ثمانية إلخ فغير متناه، أو بضم مثليه واحد ثلاثة تسعة عشرون إلخ فغير متناه، وكذا بثلاثة أمثاله وأربعة إلى ما لا يتناهى وإن شوشنا ولم نراع نظاما فغير متناه في غير متناه، وإن لم تراع الترتيب أيضا فغير متناه في غير متناه، وإن أخذنا الأموال واحد، أربعة، تسعة، سته عشر إلخ فغير متناه، والمكعبات واحد، ثمانية، سبعة وعشرين، أربعة وستين إلى آخره فغير متناه أو أموال المال أو أموال الكعب أو كعوب الكعب إلى ما لا يتناهي من القوى المتصاعدة فالكل غير متناه. ويقابل كل ما ذكرنا سلاسل المتنازلات كالجذر وجزء الكعب وجزء مال المال إلى ما لا نهاية له، =

من عقوبات جهنم وأنفاس أهل الجنة وأهل النار ولمحاتهم وحركاتهم[1] وغير ذلك كلها غير متناه. والكل معلوم لله تعالى أزلاً أبداً بإحاطة تامة تفصيلية، ففي علمه سبحانه وتعالى سلاسل غير المتناهية بمرات غير متناهية، بل له[2] سبحانه وتعالى في كل ذرة علوم لا تتناهى لأن لكل ذرة مع كل ذرة كانت أو تكون أو

= والكسور كالنصف والثلث والربع إلى ما لا يتناهي والكل غير متناه وجميع تلك السلاسل الغير المتناهية في غير المتناهية معلومات له سبحانه وتعالى أزلاً أبداً تفصيلاً تاماً وما هي إلا نوع واحد من أنواع معلوماته الغير المتناهية فسبحان من جل عن إدراك العقول والأفهام، وتعالى أن تصل إلى سرادق عزه وجلاله التخيلات والأوهام، فله الحمد وعلى نبيه الكريم الصلاة والسلام، عدد جميع معلومات ربنا ذي الجلال والإكرام. انتهى. منه حفظه ربه مكية.

(١) انظر إلى هذه الأشياء التي عددتها مما لا يتناهى وتصريحاتي أن علم المخلوق لا يحيط بشيء من الأمور الغير المتناهية بالفعل، يظهر لك كذب من افتروا عليَّ القول «بأن إحاطة علمه ﷺ لا يستثنى منه شيء غير ذاته تعالى وصفاته» فلعل الأعداد والأيام والساعات والآنات والنعيم والعقاب والأنفاس واللمحات والحركات كل ذلك عندهم ذات الله تعالى أو صفاته نسأل الله العافية. انتهى.

(٢) الحمد لله هذا الذي كتبه من عندي إيماناً بربي ثم رأيت التصريح به في التفسير الكبير، إذ يقول تحت كريمة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ سمعت الشيخ الإمام الوالد عمر ضياء الدين رحمه الله تعالى قال: سمعت الشيخ أبا القاسم الأنصاري يقول: سمعت إمام الحرمين يقول: معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات أيضا غير متناهية، وذلك لأن الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل، ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل إلخ.

قال: وحصول المعلومات التي لا نهاية لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال فإذن لا طريق تحصيل تلك المعارف إلا بأن يحصل بعضها عقيب بعض لا إلى نهاية ولا إلى آخر في المستقبل. فلهذا السبب والله تعالى أعلم ، لم يقل (وكذلك أريناه ملكوت السماوات والأرض)، بل قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ٧٥) وهذا هو المراد من قول المحققين السفر إلى الله له نهاية وأما السفر في الله فإنه لا نهاية له والله تعال أعلم. انتهى. منه حفظه ربه مدنية

يمكن أن تكون نسبة بالقرب والبعد، والجهة مختلفة في الأزمنة باختلاف الأمكنة الواقعة والممكنة من أول يوم إلى ما لا آخر له والكل معلوم له سبحانه وتعالى بالفعل، فعلمه عز جلاله غير متناه في غير متناه في غير متناه كأنه مكعب غير المتناهي على اصطلاح الحساب، إن العدد إذا ضرب في نفسه كان مجذورا فإذا ضرب المجذور في ذلك العدد كان مكعبا، وهذا جميعا واضح عند كل من له من الإسلام نصيب.

ومعلوم أن علم المخلوق لا يحيط في آن واحد بغير المتناهي كما بالفعل تفصيلاً تاماً بحيث يمتاز فيه كل فرد عن صاحبه امتيازاً كلياً فإنه لا يكون إلا باللحاظ إليه بخصوصه واللحاظات الغير المتناهية لا تتأتى في آن واحد فعلم المخلوق الحاصل بالفعل وإن كثر ما كثر حتى يشمل كل[1] ما في العرش والفرش من أول يوم إلى اليوم الآخر وألوف آلاف أمثال ذلك لا يكون قط[2] إلا متناهيا

---

(١) قال العلامة الشهاب رحمه الله تعالى تحت قوله تعالى:﴿ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٣) قال الطيبي رحمه الله تعالى معلومات الله تعالى لا نهاية لها وغيب السموات والأرض وما يبدونه وما يكتمونه قطرة منه.

(٢) قوله: قط إلا متناهيا بالفعل، انظر إلى هذه التصريحات الجلية وقد تكررت في هذا المبحث أن علم المخلوق لا يحيط بغير المتناهي بالفعل وأقدر إذن قدر فرية من افتروا على القول «بإحاطته جميع المعلومات التي لا تتناهى»، فالذي رداً صريحا بالغاً على حصول علم واحد من غير المتناهيات بالفعل لمخلوق، كيف يقول بإحاطة الجميع؟ ويا ليتهم قالوه إن لم يكن في رسالتي تعرض لهذه المسألة نفيا ولا إثباتاً، فما كانت نسبته إذ ذاك إلا فرية أما وأنا صرحت بنفيه في مواضع عديدة، فالنسبة إذن مركبة من الفرية والعناد، والمكابرة واللداد، ولكن لا غرو إذ جاءت على أيدي الوهابية أهل الفساد، فإنهم متعودون بأمثال هذه الشنائع، وهي عندهم من أحسن البضائع.

فظهر أن كل ما تكلمت به الرسالة على إحاطة علم الخلق بما لا يتناهى بالفعل نداء من بعيد ورد على وهم ما تصورته بل هي صورته نسأل الله العفو و العافية. انتهى.

بالفعل لأن العرش والفرش حدان حاصران وأول يوم إلى اليوم الآخر حدان آخران، وما كان محصوراً بين حاصرين لا يكون إلا متناهياً، نعم يصح فيه عدم التناهي بمعنى لا تقف عند حد، وهذا محال في الله سبحانه وتعالى لأن علومه وصفاته جميعا متعالية عن التحدد فحصل أن اللاتناهي الكمي مخصوص بعلوم الله تعالى واللاتقفي مختص بعلوم عباده، ولا يحصل الأول لغيره.

أقول: ولو قطعنا في النظر عما مر لكفى برهاناً عليه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء: ١٢٦) وذلك أن ذاته تعالى غير متناهية فلا يمكن لأحد من خلقه أن يعلمه كما هو بحيث يصح أن يقال الآن عرف الله تعالى عرفاناً تاماً، لم يبق بعده في المعرفة شيء فأنه لو كان كذا لأحاط ذلك العلم بذاته تعالى، فكان تعالى محاطا له وهو متعال عن أن يحيط به أحد، بل هو بكل شيء محيط.

وإنما يتفاضل العلماء بالله من الأنبياء والأولياء والصلحاء والمسلمين في علمهم بالله فلا يزالون يزدادون علما بعد علم إلى أبد الآباد ولا يقدرون[1] من

---

(١) قوله «ولا يقدرون من علمه» إلخ، عجبا ممن سمع هذا ثم احتج لتنقيص علمه ﷺ بحديث الشفاعة «فأرفع رأسي فأثنى على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه» قال: - فهذا ناطق بأن الله يعلمه حينئذ ما لم يعلمه قبل ذلك من الثناء وهذا يبطل الإحاطة المذكورة - وقد كان سمع قولنا من قبل أن ذاته سبحانه وتعالى غير متناهية وصفاته غير متناهيات وكل صفة منها غير متناهية وأن الغير المتناهي بالفعل لا يتعلق به علم المخلوق، فعلمه ﷺ في الآخرة بصفات أُخَر لله تعالى لم يعلمها من قبل كيف يقدح في الإحاطة المذكورة، فاستشعر ورود ذلك، فأجاب بأنه إن كان مرادك أنه ﷺ ينطق حينئذ بكلام يدل على كنه ذات الله تعالى وحقيقة صفاته فهذا لا يصح (وأطال في بيانه بلا طائل إذ هي مسألة مسلمة قد صرحنا بها، قال وإن كان مرادك غير ذلك ثبت بطلان الإحاطة المذكورة. انتهى.

فانظر إلى هذا الذي يزعم أن الله مع جميع صفاته داخل في ما كان من أول يوم ويكون إلى يوم الأخر ومحصور مثبت في اللوح وليس خارجا عنه إلا كنه الذات وحقيقته الصفات، فإذا علم النبي ﷺ من ذاته وصفاته في الآخرة علماً جديداً لم يعلمه في الدنيا، فلا يخلو عن أحد الأمرين: إما أن يعلم كنه الله تعالى وكنه صفاته إذ هو الذي كان خارجا عن اللوح المحفوظ، أو لا=

علمه إلا على القدر المتناهي ويبقى أبدا فيه مالايتناهى فثبت أن إحاطة أحد من الخلق بمعلومات الله تعالى على جهة التفصيل التام محال شرعاً وعقلاً، بل لو جمع علوم العالمين أولاً وآخر لما كانت لها نسبة ما أصلاً إلى علوم الله سبحانه وتعالى حتى كنسبة حصة من ألف ألف حصة [و] قطرة إلى ألف ألف بحر وذلك لأن تلك الحصة من القطرة متناهية وتلك البحار الزواخر أيضا متناهيات، ولابد للمتناهي من نسبة إلى المتناهي، فإنا لو أخذنا أمثال تلك الحصة من البحار مرة بعد أخرى لابد أن يأتي على البحار يوم تنفد وتفنى لتناهيها.

أما غير المتناهي فكل ما أخذت منه أمثال المتناهي وإن كان بالغاً في الكبر ما بلغ كان الحاصل متناهياً أبداً والباقي فيه غير متناه أبداً، فلا يمكن حصول نسبة أبداً، هذا هو إيماننا بالله[1] وإليه أشار الخضر إذ قال لموسى عليهما الصلاة والسلام في نقرة العصفور من البحر ما قال، فهذا قسم مختص بالله تعالى.

= يكون علمه ﷺ محيطا في الدنيا بما حصر في اللوح ولم يدر أن اللوح لا يحصر إلا المتناهي، والعلوم المتعلقة بذاته وصفاته تعالى غير متناهية والأنبياء يزدادون فيه علماً إلى الأبد ولا يحصل لهم في شيء من الأوقات إلا المتناهي، والمتناهي لا يكون كنه غير المتناهي، فلا يلزم شيء من المحذورين، ولكن عدم التدبر يكون غطاء العين نسأل الله السلامة في الدارين، آمين.

(١) قوله: هذا هو إيماننا بالله من تأمل كل ما تقدم في هذا المبحث لاسيما هذه الكلمات الأخيرة من قطع النسبة بين علم الخالق والمخلوق أيقن أنه قد كذب والله وافترى من نسب إلى بريء منه إدعاء المساواة بينهما، وأن لا فرق إلا بالقدم والحدوث. نعم مع ذلك لا نحب إكفار من يقول به كما زعم في الموضوعات وذلك لأن من العرفاء من نقل عنه ما يذهب إلى هذا وهو سيدي أبو الحسن البكري قدس سره ومن تبعه. قال الشيخ العلامة العشماوي رحمه الله تعالى في شرح صلاة سيدي أحمد البدوي الكبير ﷺ ما نصه: وفي كلام العلامة عمر الحلبي وقد سئل عن مقالة سيدي محمد البكري المذكور[*]، وهي أن النبي ﷺ كان يعلم جميع علم الله تعالى، ما حاصله مقالة الشيخ =

(*) ذكر المؤلف الوالد سيدي أبا الحسن البكري، ثم ذكر ولده قائلاً «سيدي محمد البكري المذكور» والمذكور هو الوالد، ويلوح ترجُّح الولد على الوالد والله تعالى أعلم. توفي سيدي أبو الحسن البكري سنة ٩٥٢، وتوفي سيدي محمد البكري سنة ٩٩٤. وفي (أ) «سيدي أبو الحسن البكري المذكور».

= هذه صحيحة إذ يجوز أن الله تعالى يهبه علمه ويطلعه عليه، ولا يلزم من ذلك أن يدرك محمد صلى الله تعالى عليه مقام الربوبية، إذ العلم المذكور ثابت لله تعالى بذاته وللمصطفى ﷺ بتعليم الله تعالى إياه. انتهى.

ثم قال أعني العشماوي وقد ذكر لي بعض الأصحاب أنه يلزم أن يساوي علمه ﷺ علم الله تعالى إذا قلنا: إنه يعلم كل شيء، فأجبته أنه لا يلزم شيء من ذلك: لأن ذلك لله تعالى بالأصالة وله ﷺ بالتبعية، قال، فأعجبه هذا الجواب واشتهاه. انتهى. وقد أشار إلى قول سيدي أبي الحسن قدس سره هذا الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في «مدارج النبوة»، لم يُكَفِّرْ - مَعاذَ الله تعالى - ولم يضلل ولا ولا، بل عبر عنه ببعض العرفاء، وإنما قال: هذا الكلام بظاهره يخالف كثيراً من الأدلة، فالله أعلم ماذا أراد به قائله انتهى بالمعنى.

وسيأتيك في النظر الثاني التنصيص بأن ادعاء إحاطة علومه ﷺ بجميع المعلومات الإلهية خطأ باطل، ولكن الرزية كل الرزية من يرى هذا، ثم يفتري على مثل الكذب الصريح يجترئ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ويهون الأمر أن منشأ هذه الفرية هم الوهابية - خذلهم الله تعالى - وهم على الله ورسوله يفترون، فَمِنَ بغيٍ وعمن يفتُرون(*). نسأل الله العفو والعافية.

فإن قلت ألم يقل في الموضوعات؟ من اعتقد تسوية علم الله ورسوله يكفر إجماعا كما لا يخفى. انتهى.

أقول: إن أراد التسوية من كل وجه فنعم، إذ يلزم قدم غيره تعالى وغناه عنه عز وجل؟، كما عرفت مما ذكرنا من الفروق ولا يمس قول هؤلاء العرفاء، لما سمعت من كلماتهم، فهذا لا يقول به مُسَلِّم ولا من يقول به مسلم، وإن أراد مجرد التسوية في المقدار كما هو ظاهر كلامه حيث بناه على زعم ابن القيم أن الذين سماهم بغلوه غلاة، عندهم أن علم رسول الله منطبق على علم الله سواء بسواء، فكل ما يعلم الله يعلم رسوله. انتهى. فلا وجه للإكفار فإنه لم يرد نص قط فضلا عن القطعي الضروري أن الإعلام الإلهي عن بعض العلوم محجور، بل الله على كل شيء قدير. وحصر علم في الله تعالى لا ينفيه عن عباده بعطائه وإمداده كما سيأتي، ولو أتى الإكفار من هذا الباب لزم والعياذ بالله تعالى إكفار العلماء والأولياء القائلين بأنه ﷺ أُعطيَ علم الساعة وأمر بكتمانها كما سيتبين لك، وهذا الناقل عن الموضوعات اعترف بنفسه في آخر رسالته أن من المتأخرين والصوفية من ذهب إلى إعطاء الخمس ثم لم يكفرهم ولا صرح بتضليلهم. =

(*) مضطربة بالأصلين وما أثبتناه أقرب للصواب، والمعنى أن الوهابية - خذلهم الله - يفترون، بضم التاء، أي يقصرون ويتكاسلون عن إدراك الحق بسبب بغيهم وعماهم.

أما الثلاثة البواقي أعني العلم المطلق الإجمالي ومطلق العلم الإجمالي والتفصيلي فغير مختصات به تعالي، بل إن أخذنا الإجمال على جهة شرط لا شيء أي ما لا يمتاز فيه بعض المعلومات عن البعض امتيازاً كلياً استحال أن يكون الإجماليان له سبحانه وتعالى، ووجب اختصاصهما بالعباد. أما المطلق الإجمالي فحصوله للعباد بديهي عقلاً وضروري ديناً. فإنا أمنا أنه تعالى بكل شيء عليم. فقد لاحظنا بقولنا كل شيء جميع معلومات الله سبحانه وتعالى فعلمناها جميعاً علماً إجمالياً ومن نفاه عن نفسه فقد نفى عنه الإيمان بهذه الآية فاعترف بكفره والعياذ بالله تعالى. ومعلوم أن ثبوت العلم المطلق الإجمالي ثبوت مطلق العلم الإجمالي، والتفصيلي منه كذلك. فإنا أمنا بالقيامة وبالجنة وبالنار وبالله تعالى وبالأمهات السبع من صفاته عز وجل، وكل ذلك غيب وقد علمنا كلاً بحياله

= أما عدم الإحاطة بغير المتناهي فمسألة عقلية ليس عليها من الشرع دليل، وليس إنكار كل مسألة عقلية كفرا ما لم يكن فيه إنكار شيء من الدين، بل قد رأيت في كلام إمام الحقائق سيدي محي الدين ﷺ تجويز حصول ذلك لكن لم يجزم به.

وأما العلم بكنهه تعالى فقد اختلفوا في جوازه ونسب في - شرح المواقف -(*) منعه إلى بعض أصحابنا كالغزالي وإمام الحرمين قال ومنهم من توقف كالقاضي أبي بكر، بل قال كثير من أصحابنا بوقوعه كما في المواقف وشرحه، فكيف يصح الإكفار مع هذا؟! وإن كان الحق عندنا امتناعه حتى في الجنة بعد رؤيته سبحانه (رزقنا الله تعالى) وإن تردد فيه جلبي، وقول (الموضوعات) كما لا يخفى ظاهر(**) في أنه لم يره منقولا إنما بحث بحثا من عنده ظنا منه أن المسألة لا تصلح لنزاع، وليس الإجماع مما يثبت بظن لا مستند له فكيف يصح إكفار جمع من أولياء الله تعالى مقول غير معقول لا منقول ولا مقبول، فاستقم وبالله التوفيق. انتهى.

(*) أي السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني صاحب الحاشية على الكشاف والتعريفات. تلقى الطريقة النقشبندية من سيدي العلاء الدين العطار عن حضرة شاه نقشبند سيدي محمد بهاء الدين الأويسي البخاري. توفى ٨١٤ كما مضى عليه المقريزي في درر العقود ٢/ ٥٢٥.

(**) [حاشية المؤلف] قال في رد المختار باب إدراك الفريضة في مسألة ذكرها في البحر وأعقبها بقوله كما لا يخفى ما نصه ظاهره أنه لم يره في البحر منقولا صريحا. انتهى.

ممتازاً عن غيره فوجب حصول مطلق العلم التفصيلي بالغيوب لكل مؤمن[1] فضلاً عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كيف لا وقد أمرنا سبحانه أن نؤمن بالغيب؟! والإيمان تصديق، والتصديق علم. فمن لم يعلم الغيب كيف يصدق؟ ومن لم يصدق كيف يؤمن؟

فثبت أن العلم الذي يستأهل الاختصاص به تعالى ليس إلا العلم الذاتي والعلم المطلق التفصيلي المحيط بجميع المعلومات الإلهية بالاستغراق الحقيقي، فهما المرادان في آيات النفي، وأن العلم الذي يصح إثباته للعباد هو العلم العطائي، سواء كان العلم المطلق الأجمالي أو مطلق العلم التفصيلي والتمدح إنما يقع بهذا، وقد مدح الله به عباده فقال:﴿ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (الذاريات: ٢٨)

وقال:﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٍ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ ﴾ (يوسف: ٦٨)

وقال:﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ (الكهف: ٦٥)

وقال:﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُ ﴾ (النساء: ١١٣) إلى غير ذلك من آيات كثيرة فهم والمراد في آيات الإثبات فهذا هو المحمل الحق الذي لا محيد عنه ولا إمكان لغيره.

وقد تبين لك أن كل ما ذكرنا آنفا ثابت من الدين ضرورة بحيث أن من أنكر شيئا منه فقد أنكر الدين، وفارق جماعة المسلمين، وهذا ما وفق به العلماء

---

(١) في التفسير الكبير لا يمتنع أن نقول نعلم من الغيب ما لنا عليه دليل. انتهى.

وفي نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض لم يكلفنا الله الإيمان بالغيب إلا وقد فتح لنا باب غيبه. انتهى.

وروى ابن جرير في قوله تعالى:﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴾ (التكوير: ٢٤) عن ابن زيد الغيب القرآن وعن زر: الضنين البخيل والغيب القرآن. وعن مجاهد قال: مايضن عليكم مما يعلم. وعن قتادة أن هذا القرآن غيب فأعطاه الله محمد ﷺ فبذله وعلمه. انتهى.

الإثبات، في آيات النفي والإثبات، كما قال الإمام الأجل أبو زكريا النووي في فتاواه. ثم الإمام ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية وغيرهما في غيرهما أن معناها لا يعلم ذلك استقلالاً وعلم إحاطة بكل المعلومات إلا الله تعالى. انتهى.

فاستبان كالشمس والأمس أن الذي[1] ينفي مطلق العلم بالمغيبات عن النبي ﷺ ولو بعطاء الله سبحانه وتعالى كما صرحت به وهابية ديارنا حتى قالوا إنه ﷺ لا يعلم حال خاتمته ولا خاتمة أمته كما ورد إلى السؤال عن حكم هذا الضلال في شهر ربيع الأول سنة ١٣١٨ هـ من بلدة دهلي، وكتبت في جوابه «إنباء المصطفى بحال سر وأخفى» وأقمت عليهم الطامة الكبرى فهو ناف لما أثبته الله تعالى في قرآنه وقوله مناف لإيمانه كاف وواف لخسرانه فهوكافر[2] مرتد بكفرانه وقوله أنه ﷺ لا يعلم حالَ خاتمته ولا خاتمة أمته كفرآخر، لإنكاره كثيرا من الآيات الغرر.

قال تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ (الضحى: ٤)

وقال تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (الضحى: ٥)

وقال تعالى:﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾(الحديد: ١٢)

وقال تعالى:﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الإسراء: ٧٩)

---

(١) من نفى عنه ﷺ علم الغيوب مطلقاً فقد كفر وكذا من قال لم يكن يعلم حال خاتمته.

(٢) هذه فتوى ربنا عز وجل إذ قال عز من قائل في القرآن العظيم: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبة: ٦٦) وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في هذه الآية، قال رجل من المنافقين يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا، وما يدريه بالغيب. انتهى. كيف لا وهو إنكار للنبوة؟! قال الإمام القسطلاني في «المواهب الشريفة»: النبوة هي الإطلاع على الغيب. وقال أيضا النبوة مأخوذة من النبأ وهو الخبر أي أن الله تعالى أطلعه على غيبه. انتهى.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٣)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[1] (الفتح: ١) إلى قوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح: ٥).

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ (الفرقان: ١٠).

على قراءة الرفع قراءة ابن كثير وعامر ورواية ابي بكر عن عاصم إلى غير ذلك من الآيات.

أما الأحاديث المتواترة المعنى في هذا الباب فبحر عباب لا يدر قعره، ولا ينزف غمره، ولكن بأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون، إلهي أسألك العفو والعافية وأعوذ بك مما اجترح الكافرون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) اللام في ﴿ لَك ﴾ للتعليل وإضافة الذنب لأدنى ملابسة أي ليغفر الله بسببك وبجاهك ما تقدم من ذنوب أهلك ومعاصيهم أو زلاتهم من آبائك وأمهاتك من عبد الله وآمنة إلى آدم وحواء وما تأخر من ذنوب نسلك من أحفادك وأسباطك بل ونسلك المعنوي جميعا وهم أهل السنة إلى يوم القيامة. هذا هو الأحسن الأزين الأحلى في تأويل الآية عندنا والله تعالى أعلم. انتهى منه حفظه ربه. مكية

النظر الثاني

الوهابية هم المشركون بزعمهم أن إثبات علم ما كان وما يكون لغيره تعالى شرك

زهر وبهر مما تقرر أن شبهة مساواة علوم المخلوقين طرا أجمعين، بعلم ربنا إله العالمين، ما كانت لتخطر ببال المسلمين، أما ترى العميان أن علم الله ذاتي وعلم الخلق عطائي؟! علم الله واجب لذاته وعلم الخلق ممكن له(*)، علم الله أزلي سرمدي قديم حقيقي وعلم الخلق حادث، لأن الخلق كله حادث والصفة لا تتقدم الموصوف، علم الله غير مخلوق وعلم الخلق مخلوق، علم الله غير مقدور وعلم الخلق مقدور ومقهور، علم الله واجب البقاء، وعلم الخلق جائز الفناء، علم الله ممتنع التغير وعلم الخلق ممكن التبدل؟!

ومع هذه التفرقات لا يتوهم المساواة إلا الذين لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم.

فلو فرضنا أن زاعماً يزعم بإحاطة علومه ﷺ بجميع المعلومات الإلهية فمع بطلان زعمه وخطأ وهمه لم تكن فيه مساواة لعلم الله تعالى لما ذكرنا من الفروق الهائلة التي لا تبقى لعلم المخلوق من علم الخالق إلا ع ل م(1) أعني المشاركة

---

(1) قوله إلا ع ل م يريد الوفاق في الاسم وهو ترق من التفرقة بالصفات إلى المباينة بنفس الحقيقة والذات(**)... =

(*) أي للخلق.

(**) التفرقة بالصفات هي أن صفة العلم للخالق تعالى تختلف عن صفة علم المخلوق ولكن الشيخ يقول إنه لا اشتراك في الصفة كي تكون التفرقة قائمة على أساس الفرق في الصفة، بل المشاركة مجرد مشاركة اسمية، لذا فتفرقة المؤلف هاهنا تفرقة في حقيقة مسمى العلم وذات العلم. أو أن المؤلف ينظر في التفرقة إلى ذاته سبحانه وذات المخلوق ولا مشاركة بينهما والصفة تابعة للموصوف فلا تكون مشاركة في الصفة لانعدام الشبه بين الموصوف بها وهو الخالق تعالى والمخلوق الفاني فلا تكون المشاركة إلا اسمية حرفية.

= وأنبهك على داهية كبرى في «التحرير المفترى» أقول: أي رب غفراً هذا هو إيماننا بالله رب العالمين لا شريك له في ذاته، ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد: ١٩) ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص: ٣-٤) ولا في صفاته، له الحمد،﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى: ١١) ولا في أسمائه،﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (مريم: ٦٥) ولا في حكمه،﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٦) ولا في ملكه ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ (الإسراء: ١١١) ولا في ملكه ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (النور: ٦٤) ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣) ولا في أفعاله ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ (فاطر: ٣) وما يرى من إطلاق اسم واحد عليه وعلى أحد من خلقه عز وجل كعليم حكيم حليم كريم سميع بصير و نحوها، فمجرد وفاق في اللفظ دون شركة في المعنى، ولذا(*) قال في الفتاوى السراجية والتاتارخانية ومنح الغفار والدر المختار(**) وغيرها: التسمية باسم يوجد في كتاب الله تعالى كالعلي والكبير والرشيد والبديع جائز لأنه من الأسماء المشتركة ويراد في حق العباد غير ما يراد في حق الله تعالى انتهى

وقال إمامنا أبو يوسف رحمه الله تعالى إن أفعل وفعيلاً في صفاته تعالى سواء كما في «الهداية» قال في العناية لأن إثبات الزيادة ليس بمراد في صفات الله تعالى لعدم مساواة أحدٍ إياه في أصل الكبرياء حتى يكون أفعل للزيادة كما يكون في أوصاف العباد، فكأن أفعل وفعيل سواء. انتهى. بل قال العلماء في غير ما موضع أن اسم التفضيل كثيراً ما يراد به أصل الفعل من دون شركة، منها قوله تعالى:﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٤) وقوله =

(*) [حاشية المؤلف] قال الإمام القاضي عياض في (الشفاء الشريف) يعتقد أن الله عز وجل في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعلا صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبَّه به، وأن ما جاء مما أطلقته الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إلخ. ثم نقل عن الإمام الواسطي رحمه الله تعالى قال ليس كذاته ذات ولا اسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ، قال وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم. انتهى.

قلت: وفي إملاء الإمام حجة الإسلام الغزالي على إحيائه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء. اهـ. فما ظنك بصفات المولى عز وجل؟!

(**) من كتب الفقه الشهيرة عند الأحناف.

= تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (النمل: ٥٩) وقوله تعالى: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ٨١) وقد عقبه بقوله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: ٨٢).

ولكن العجب ممن جعل تقسيمنا العلم إلى الذاتي والعطائي وإلى المحيط وغيره كلاما فلسفيا غير مقبول عند أهل الشرع مع كثرة من صرح به من الأئمة كما أكثرنا النقول عنهم في كتابنا «مالئ الجيب بعلوم الغيب» وذكرنا طرفاً صالحاً منه في كتابنا «خالص الاعتقاد» وقد نقلته الرسالة المفتراة عن الإمامين النووي وابن حجر كما تقدم وذكرَتْ الفرق بأن علمه تعالى محيط لعلوم الخلائق عن الإمام حجة الإسلام الغزالي، بل صرحت به بنفسها كما سيأتي إن شاء الله تعالى ها هنا، لكن لما رأت(*) القسمتين تُبطلان ما لها من احتجاج وتسدان عليها سبيل الحجاج أنكرَتْها ها هنا وادعت أن العلم الإلهي في النصوص الشرعية إنما يراد به مطلق الإدراك واحتجت له بإطلاق «أعلم» عليه تعالى في آيات وفي قولهم الله ورسوله أعلم. قالت الرسالة: ومن المقرر في العربية أن معنى أفعل التفضيل أن المفضل يشارك المفضل عليه مع اختصاص بزيادة في المعنى.

وهذه كلمة قالها، ولم يتأمل مآلها، ولو علم وبالها لقال مالي ومالها، فإن فيها رزيتين كبيرتين:

الرزية الأولى: سله أن العلم ونحوه مما تذكره النصوص الشرعية والآيات الفرقانية في حمده عز وجل هل هي صفات كمال لمولانا جل جلاله أو لا؟ فإن قال نعم كما هو المرجو من كل من أسلم، فقل أولاً: يا سبحان الله فمن يؤمن بالله وآياته ثم يشرك به مخلوقاته في صفاته ويتجاهر بأن الخلق شركاؤه فيها مع اختصاص الله تعالى بزيادة. وعن أمثال هذا يغلب علي الظن أن الرسالة إن كان لها أصل فقد حرفتها أيدي الوهابية، إذ هم المجترؤن بأمثال هذا كما أشركوا كل صبي ومجنون وحيوان وبهيمة في علم الغيب مع رسول الله ﷺ ولا أرى أصل تلك الشبهة أعني تشريك الصفة بين الله تعالى وخلقه إلا من سلف الوهابية نمرود ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

وثانياً: ما ذكرت ليست قاعدة غير منخرمة بل يجب اتباع الدليل لا الجمود على صورة التفضيل وإلا لزم كذلك إشراك الخلق بالله تعالى في العظمة والعلو والجلال والكبرياء والحكم =

(*) الأفعال: ذكرت وصرحت ورأت، وما بعدها عائدة كلها على الرسالة التي يرد عليها الإمام هنا.

= وغير ذلك مما أطلق منه [أفعل] على ربنا تبارك وتعالى فنقول: الله أكبر وأعظم وأعلى وأجل وأحكم، مع أن الله تعالى يقول:﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ٢٦) وقال تعالى فيما يرويه عنه نبيه ﷺ «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار»(*).

وثالثاً: حملت الصفات الإلهية على المعاني المصدرية وما هي إلا من الأمور الانتزاعية الحادثة الفانية وصفاته تعالى عن ذلك متعالية وإن قال: لا، فقد قرر أن النصوص الدينية والآيات القرآنية حيث تحمد الله تعالى بالعلم ونحوه فلا تحمده بصفة كمالية لله عز وجل إنما تحمده بشيء مبتذل حاصل لكل حسن وقبيح وشريف ووضيع ومؤمن وكافر، هذا لا يجترئ به مسلم بل تحمده بصفات جليلة رفيعة في ذاتها متعالية عن أعراض المحدثات وسماتها.

الرزية الثانية: حيث لم يرض إرادة الإحاطة أيضا فضلا عن الذاتية جاعلا لها تفلسفاً ساقطاً عن الاعتبار في فهم معاني الكتاب والسنة، بمخرجين لها عن ظواهرها، مفضيين إلى عدم الوثوق بكثير من النصوص، مُوقعيْن للمسلمين في حيرة عظيمة، ناقضيْن عُرَى الدين الوثيقة وقرر أن ليس المراد فيها إلا مطلق الإدراك الشامل للخالق والمخلوق، فقد ترك الآيات تتناقض لما علمت أن القرآن العظيم أتى في علم المغيبات بكلا طرفي النفي والإثبات والمراد عنده فيهما هو مطلق الإدراك فتوارد النفي والإثبات على معنى واحد وتمكن مخلب التناقض في آيات الرحمن وأي مصيبة أعظم من هذا. وكذلك كل من نابذ الحق، فإن الباطل لا ينصره إلا الباطل نسأل الله العافية.

بلية أخرى أمر و أدهى: وقع في الرسالة المفتراة أن المعلومات كلها بالنسبة إليه تعالى من عالم الشهادة.

أقول هذه زلة شديدة، وحقه أن يقول الموجودات كلها لأن معلوماته تعالى تعم المعدومات التي لم تكتس الوجود ولا تكتسيه أبدا بل والمحالات بأسرها كما نصوا عليه في كتب العقائد، ولو كان المحال من عالم الشهادة بالنسبة إليه تعالى لصار شاهداً مشهوداً موجوداً وأي شناعة أخنع من هذا؟ فإن فيه أنه تعالى يشاهد شريكه وموته وعجزه وجهله إلى غير ذلك من المصائب، تعالى عنها علواً كبيراً. وقد نص العلماء أن الرؤية تتوقف على الوجود وأن المعدوم غير مرئي لله تعالى، وإنما اختلفوا أنه تعالى هل يرى الموجود حين يوجد أم يرى في القدم كل ما يخرج =

(*) رواه ابن حبان (باب التواضع والكبر والعجب/ ٥٧٦٣) وأبو داود (ما جاء في الكبر/ ٣٥٦٧) وابن ماجة (البراءة من الكبر، والتواضع/ ٤١٦٤) والبيهقي في الشعب (٧٩٣٤). ورواه مسلم (تحريم الكبر/ ٤٧٥٢) بلفظ «العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته».

الاسمية وحدها فكيف وقد أقمنا الدلائل القاهرة على أن إحاطة علم المخلوق بجميع المعلومات الإلهية محال قطعاً عقلاً وسمعاً.

فالوهابية الذين إذا سمعوا أتباع الأئمة يثبتون باتِّباعهم القرآنَ والحديثَ لرسول الله ﷺ علمَ جميعَ ما كان وما يكون من أول يوم إلى آخر الأيام، حكموا عليهم بالشرك والكفر وأنهم يدّعون مساواة علمه ﷺ لعلم ربه عزوجل خابطون غالطون، وهم بأنفسهم في مهوى الشرك والكفر ساقطون، لأنهم إذا زعموا في إثبات هذا العلم المحدود المحصور المعدود، المساواة مع علم الله فقد شهدوا أن علم الله تعالى ليس إلا بهذا القدر القليل الصغير النزر اليسير إذ لو زاد عليه عندهم فالزائد لا يساوي الناقص(*)، فلم يحكموا بالمساواة، لكنهم يحكمون، فبعلم الله يتهكمون، وبالنقص عليه يتحكمون، قاتلهم الله أنى يؤفكون، نسأل الله النجاة من الفتون.

= إلى الأبد من العدم مع الإجماع على أن المحال لا تتعلق به رؤية ذي الجلال كما بيناه في «سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح» فتنبه فلعل هذه الزلات مثل ما حكت الرسالة في حق بعض الأئمة أنه قد كان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سها في هذه المسألة(**). نسأل الله العفو و العافية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى

(*) لعل المقصود ابن حزم الأندلسي، حيث كان يعتقد تعلق القدرة بالمستحيل فقد اشتهر عنه قوله في «الملل والنحل» بقدرة الله تعالى على أن يتخذ ولداً لو شاء ولأنه لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً. وقد رد عليه أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم، وقوله هذا مخالف لصريح الوحدانية ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم: ٣٥) فكان قوله هذا كمثل أن يقال يجوز لله أن يتخذ شريكاً وأن يسبغ عليه صفات الإلهية فيصير إلهاً، ونعوذ بالله من حكاية هذا الكلام الثقيل، ولكن المقام اقتضاه. نسأل الله السلامة والعافية وحسن الاعتقاد.

(**) بمعنى أنه لو زاد علم الله تعالى على هذا القدر اليسير لم تكن مساواة مع علم النبي ﷺ لأن من زاد في العلم لا يساوي من نقص فيه، ولو فعلوا ذلك ما حكموا بأن كلام الشيخ في المسألة يسوي علم الله تعالى بعلم النبي ﷺ، ولكنهم لما قالوا بأن كلام الشيخ يفيد هذا المساواة ولما كان هذا القدر هو كل علم الله صاروا كمن يحكم بهذه المساواة لغفلتهم عن أن العلم المقصود متناه وعلم الله تعالى غير متناه.

النظر الثالث

إقامة الظلمة الكبرى على التهانوي(*) مصنف رسالة حفظ الإيمان

اللهم غُفراً، نرى الظلمات عمت وطمت، وكلمة النكال على كثير من الناس تمت، فبما قررناه أن العلم الذاتي والمطلق المحيط التفصيلي مختص بالله تعالى وما للعباد إلا مطلق العلم العطائي وأنه حاصل لكل مؤمن فضلاً عن الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، إذ لولاه لما صح الإيمان، كما مر البيان، عسى أن يتوهم متوهم أن لم يبق إذن فرق بيننا وبين نبينا ﷺ فما ظنك بسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ فإن الذي حصل له ولهم قد حصل لنا، وما هو منتف عنا فهو منتف عنهم أيضا. فقد استوينا!!

وهذا وإن كان لا يصدر عن عاقل، فضلاً عن فاضل، عن الوهابية غير بعيد، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون وليس منهم رجل رشيد. ما لي أُقدِّر وقد وقع؟! أما سمعت ذلك المتقشف المتصلف، المتشيخ المتصوف، المتصدر المتكبر، منهم في زماننا من الهنود، الطغام العنود، صنف رسيلة لا تبلغ أربعة أوراق، تكاد تتفطر منها السبع الطباق، سماها «حفظ الإيمان» وما هي إلا خفض الإيمان، صرح فيها بهذا القول، ولم يخش وبال يوم الأول، إذ قال ما ترجمته إن صح الحكم على ذات النبي المقدسة بعلم المغيبات كما يقول به زيد، فالمسئول عنه أنه ماذا أراد بهذا،

(*) هو الشيخ الفقيه أشرف علي بن عبد الحق التهانويّ المعروف بين تلاميذه في شبه القارة الهندية بحكيم الأمة، أحد كبار العلماء والمشايخ الديوبنديين. وله مؤلفات جمة العدد، منها نحو اثني عشر كتابًا بالعربية. وُلِدَ سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) في بلدة تهانَهْ بَهَوَنْ في مديرية مظفر نكر بولاية أترا براديش. وتخرج من الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م. وتوفي بـ تهانه بهون سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م). للاستزادة أُنظر (أشرف السوانح) في ثلاثة أجزاء للشيخ الخواجه عزيز الحسن المجذوب. وتاريخ دار العلوم / ديوبند ج٢، و نزهة الخواطر ج:٨

بعض الغيوب أم كلها؟ فإن أراد البعض فأي خصوصية فيه لحضرة الرسالة؟ فإن مثل هذا العلم بالغيب حاصل لزيد وعمرو بل لكل صبي ومجنون بل لجميع الحيوانات والبهائم، وإن أراد الكل بحيث لا يشذ منه فرد فبطلانه ثابت نقلاً وعقلاً. انتهى.

ولم يدر البعيد العنيد أن مطلق العلم العطائي بالمغيبات خاص أصالة بحضرات الأنبياء الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام، لقول ربهم جل وعلا: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٦)

وقوله عز مجده: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ ﴾ (آل عمران: ١٧٩)

فما يحصل لغيرهم إنما يحصل بإفاضتهم وإمدادهم، وإفادتهم وإرشادهم، فأنى التساوي؟ على أن غيرهم لا يعلم من علومهم إلا نزراً يسيراً لا يعد شيئاً بجنب ما لهم من بحار متدفقة من العلوم الغيبية، فإنهم عليهم الصلاة والسلام يعلمون بل يرون ويشاهدون جميع ما كان وما يكون من أول يوم إلى اليوم الأخر.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (الأنعام آية: ٧٥)

وللطبراني في كبيره ونعيم ابن حماد في كتاب الفتن وأبي نعيم في الحلية عن عبد الله بن عمر الفاروق عن النبي ﷺ قال: «إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذا جلّيان من أمر الله تعالى جلاه لنبيه كما جلاه للنبيين من قبله»(*) صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين.

(*) ضعيف وله شاهد في الحديث الذي رواه الترمذي (٣١٥٧) عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال: أحسبه قال في المنام، فقال يا محمد تدري فيما يختصم الملأ=

فالبعيد شقق بين الكل والبعض، وإذا قد انتفى الأول ورأى الثاني شاملاً للكل حكم باستواء علوم رسول الله ﷺ الذي وسع العالمين علماً وحلماً وعلَّمه الله ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما، فعلم علوم الأولين والآخرين وعلم ما كان وما يكون، وعلم ما في السماوات والأرض وعلم ما بين الشرق والغرب وتجلى له كل شيء وعرف ونزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء وفصل الله له كل شيء تفصيلاً، مع علم زيد وعمرو بل لكل صبي ومجنون بل كل حيوان وبهيمة. ولم يدر الشقي أن البعض له(*) عرض عريض شامل من قُطيرة صغيرة ضئيلة ذليلة إلى ألوف ألوف بحار زواخر لا يدري قعرها ولا لها حد ولا إنتهاء، وما الكل إلا من علومه تعالى لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

فإن كان مجرد صدق لفظ البعض كافياً في التساوي والتماثل ونفي الخصوصية كما زعم الطريد البعيد، فليحكم بتساوي قدرة الله تعالى لقدرة[1] زيد

---

(١) نحن معشر أهل السنة والجماعة نثبت القدرة الحادثة بعطاء المولى سبحانه وتعالى وإن كانت كاسبة لا خالقة ونفيها مطلقا إنما هو مذهب جهم بن صفوان الضال كما في المواقف وشرحه وقد قال تعالى: ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾ (القلم: ٢٥) أي أصبحوا مجمعين على المنع مع كونهم قادرين على النفع.

قال العلامة أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم المعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم إلخ، وقال تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (الحديد: ٢٩) =

= الأعلى؟ قال: قلت لا، قال: فوضع يده بين كتفيَّ حتى وجدت بردها بين ثدييَّ أو قال في نحري، فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض... «الحديث. ورواه أحمد بنحوه في المسند (٣٣٠٤) ورواه أيضاً من حديث سيدنا معاذ بن جبل (٢١٠٩٣) بلفظ «فتجلى لي كل شيء وعرفتُ»، ورواه الدارمي في «السنن» من حديث عبد الرحمن بن غائش (٢٠٥٦) والخلاصة أن الحديث وإن ضعف فهو صحيح المعنى متقوٍ بالشواهد.

(*) الضمير يعود – فيما يظهر – إلى حضرة النبي ﷺ أي أن البعض الخاص بالنبي ﷺ عظيم عظماً لا يدرك أما البعض الذي ينسب لعوام الناس فهو قطرة من بحر علم المصطفى عليه صلوات الله وتسليماته، آمين.

وعمرو بل كل صبي ومجنون بل كل حيوان وبهيمة، فإن الحيوانات جميعاً تقدر على بعض الأفعال والحركات وإن لم تكن قدرتها مؤثرة[1] فصدق البعض والله

= قال في التفسير الكبير القول الثاني أن لفظة لا غير زائدة فالضمير في ألا يقدرون عائد إلى الرسول ﷺ وأصحابه، والتقدير لئلا يعلم أهل الكتاب أن النبي والمؤمنين لا يقدرون على شيء من فضل الله وأنهم إذا لم يعلموا أنهم لا يقدرون فقد علمهم أنهم يقدرون عليه، واعلم أن هذا القول أولى انتهى مختصراً.

فإن قيل إن القدرة الإلهية أزلية أبدية واجبة مؤثرة ولا كذلك قدرة العبد، قلت: هذه أمور غير الكلية والبعضية وإنما الكلام فيهما، فالبعيد هل يعتقد لعلم محمد ﷺ مزية ما على علم المجنون والبهيمة في صفات وكيفيات، وإحاطة وإفادات، وجلالة وقع، وجزالة نفع وأولية في الإيجاد، وتوسط في الإمداد، إلى غير ذلك من فروق عظيمة جسيمة، كبيرة جليلة كثيرة جزيلة، سوى البعضية المشتركة عنده أم لا؟ بل علمه لا يفضل عنده أصلا في شيء ما على علم المجانين والبهائم؟ على الثاني ظهر كفره ظهوراً بيناً، فإن الطريد البعيد يعترف لنفسه أيضا أن لعلمه مزايا على علم الثور والحمير والكلب والخنزير. وعلى الأول إذ قد بنى نفي الخصوصية والحكم بالتماثل على مجرد الاشتراك في البعضية مع إذعانه أن لعلومه ﷺ مزايا على علم هؤلاء من جهات أخرى لا تحاط كثرا، فالنقض بالقدرة الإلهية تام ولا يجدي ذكر الفروق بتلك المزايا الخارجة عن الكلية والبعضية فاعرف وافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم. منه حفظه ربه مدنية

(١) أي في الخلق و الإيجاد بإجماع أهل السنة والجماعة، حفظهم الله تعالى عن كل شناعة، واختلفوا أنها هل لها أثر ما في شيء زائد على الوجود كنسب وإضافات واعتبارات يسميها البعض حالا والباقون لا ينكرون أن هناك أمورا اعتبارية لها قسط من الواقعية ليست مجرد اختراع وهم كأنياب أغوال وإن نازعوا في القول بالأحوال وإثبات واسطة بين الوجود والعدم، فالخلف لفظي كما صرح به المحققون: فجمهور الأشاعرة نفوه مطلقا وما عندهم من الفعل للقدرة الحادثة إلامعية وللعبد منه إلا محلية. والحنفية حسبوه لا يكفي لنفي الجبر فأثبتوا لها تأثيراً في القصد وهو أمر إضافي قطعا ليس من الموجود عينا فلا يكون استناده خلقا وتكوينا، فإنه إفاضة الوجود لا إضافة موجود ولا عبرة بقدم زلت، وتأثيرها في الإضافات قد ارتضاه بعض كبراء الأشعرية أيضا كإمام السنة القاضي أبي بكر الباقلاني، ولا أعلم على خلافه نصاً ولا إجماعاً وقد بينت كل ذلك في رسالتي «تحبير الخبر بقصم الجبر». =

تعالى متعال عن القدرة على نفسه الكريمة وصفاته القديمة، وإلا لكان مقدوراً فكان ممكناً فلم يكن إلهاً، ولكانت صفاتهٌ مخلوقاتٍ حوادثَ، إذ كل موجود بالقدرة موجود بالخلق وكل موجود بالخلق مسبوق بالعدم، فصدق هاهنا أيضا لفظ البعض لانتفاء الإحاطة بجميع الأشياء فلزم التساوي، مع جميع المساوي.

وسأضرب لك مثلاً: ملك جبار ملك الدنيا بحذافيرها، وملك الخزائن بنقيرها وقطميرها، وله نواب وأمراء سلطهم على خزائن قُطْرٍ قطرٍ، ليعينوا المحتاجين، ويتصدقوا على المساكين، وأمَّر عليهم جميعا خليفةً أعظم، ليس فوقه إلا الملك الأكرم، فجعل خزائنه جميعا طوع يديه، وأمرَ الكل مفوضاً إليه، إلا خاصة نفسه، فهو يقسم على النواب والأمراء، وهم على من تحتهم درجة فدرجة حتى تصل القسمة إلى الفقراء، فيصيب كلاً من نصيبه، وفيهم شقي طريد، خبيث بعيد، ينازع الملك ونوابه فلا يذعن لهم ولا يعظمهم، ولا يرى فضلا عليه لهم،

= وأما أنا فلست ممن يخوض في هذا أو إنما إيماني ولله الحمد ما ثبت بالقرآن، وأجمع عليه الفريقان، وشهدت به البداهة وأدى إليه البرهان، أن لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين والفرق بين حركتي البطشة والرعشة و الصعود والهبوط، بالوثوب والسقوط، مما يشهد به الوجدان، ولا يجهله صبي ولا حيوان، وليس للعبد من الخلق شيء جملة واحدة وما يحس في نفسه من قدرة وإرادة واختيار فإنما خلقها الله تعالى فيه، ما كان لهم الخيرة، ولا قدرة أو إرادة يستَبدُّون بها وما تشاؤن إلا أن يشاء الله، ما شاء الله كان ولو اجتمع على دفعه العالمون، وما لم يشاء لم يكن ولو اجتهد لإيقاعه الأولون والآخرون، والله خلقكم وما تعملون، يثيب من شاء والثواب فضله، ويعذب من شاء والعذاب عدله، وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين، جزاء بما كانوا يكسبون، فالتكليف حق والجزاء حق والحكم عدل والاعتراض كفر والاستبدال ضلال والتحجر جنون والجنون فنون، ولا حجة لأحد على الله مهما فعل، ولله الحجة البالغة ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٣) فهذا إيماننا ولا نزيد عليه. وإن سألنا عما وراءه، قلنا لا ندري ولا كلفنا به ولا نخوض بحراً لا نقدر على سباحته، نسأل الله الثبات على دين الحق وسذاجته، والحمد لله رب العالمين. انتهى.

وما عنده قوت يومه، فقير بائس، مسكين مفلس، لم يصل إليه من قسمة الأمراء إلا فلسٌ واحد، مطموس كاسد، وهو يقول: أنا والخليفة الأكبر كلانا سواء في المال والملك لأنه إن أريد ملك الكل فليس للخليفة أيضا، وأن أُريدَ مُلْكُ البعض، فأيُّ خصوصية فيه للخليفة فإني أيضا أملك البعض؟ أليس في ملكي هذا الفلس الأسود الكاسد؟ فهذا الشقي الكفور، العائل المتكبر المغرور لا شكر عطاء الخليفة ولا عظم منصب الخلافة ولا فرق بين الفلس الكاسد والخزائن العامرة المالئة وجه الأرض من الشرق والغرب، بل ولا قدّر الملك الجبار حق قدره، واستخف بعظم شأن خلافته وأمره، فاستحق العذاب الوبيل والعقاب الشديد، والنكال المديد، فالملك هو الله سبحانه وتعالى وخليفته الأكبر محمد ﷺ، والنواب والأمراء: الأنبياء والأولياء عليهم الصلاة والسلام، ونحن الفقراء المتكففون منهم، والساب البعيد هو ذلك العائل الطريد، العنود اللدود المريد، نسأل الله العفو والعافية. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يا مسلم! حماك الله! أتظن أن الأخر اللئيم جاهل ذلك الفرق العظيم، حاش لله بل دار به لإنكار فضل رسول الله ﷺ دارئٌ له.

فإن شئت أن ترى حقيقة ذلك فأته وخاطبه بقولك يا مساوي الكلب والخنزير في العلم والتوقير، ستراه يحترق غيظاً، ويكاد يموت غنظا، فسله هل أحطت بكل شيء علما كمثل الله سبحانه وتعالى؟ فإن قال: نعم فقد كفر، وإن قال: لا، فقل له: أي خصوصية لك في العلم؟ فإن العلم ببعض الأشياء حاصلٌ لك ولكل كلب خنزير، فمالك تُسمى عالماً دون نظرائك الكلاب والخنازير، وهكذا حال التوقير، فليس لك كل الوقار ولم تخل الكلاب والخنازير عن بعضه لأن الكفار أذل وأوضع قدراً منها.

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ (البينة: ٦) فعند ذلك يؤمن بالفرق بين القليل والكثير فضلاً عن فرق الأصالة والتطفل والعطاء والتكفف، فإن الكلب

لم يتعلم منه والخنزير لم يتطفل عليه، بخلاف علماء[1] العالم، فإنما وصل إليهم ما وصل من العلوم بإمداد محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤)

وقد سمعت قول البوصيري في البردة:

وكلهم من رسول الله ملتمس

إلى آخر البيتين الموردين في الخطبة والحمد لله رب العالمين.

---

(١) في اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر للإمام الشعراني في المبحث الثالث والثلاثين، فإن قلت هل ثم أحد من البشر ينال في الدنيا علماً من غير واسطة محمد ﷺ؟ فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الأحد وتسعين وأربعمائة وليس أحد ينال علماً في الدنيا إلا وهو من باطنية محمد ﷺ سواء الأنبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه وأطال في ذلك كما تقدم بسطه في المبحث قبله انتهى.

قلت: ولا مفهوم لقول السؤال: من البشر ولا لقوله في الدنيا فإنه ﷺ هو الخليفة الأكبر والقاسم المطلق فلا تصل لأحد من الخلق دنيا وأخرى نعمة إلا على يده ﷺ كما نص عليه الأكابر وسردنا نصوصه في كتابنا «سلطنة المصطفى في ملكوت الورى». انتهى.

النظر الرابع

التنبيه على دسيسة الوهابية

والفرق بين مذهبنا ومذهبهم في علم الغيوب

الوهابية خذلهم الله تعالى إذا عجزوا آيسوا جعلوا يطلبون لهم الخلاص، ولات حين مناص، فقالوا نعم أطلع الله تعالى محمداً ﷺ على بعض المغيبات في بعض الأوقات على جهة الإعجاز، بيد أنه لا يعلم إلا ما علم، قالوا وأنتم أيضا لا تقولون إلا بهذا فارتفع الشقاق، وحصل الوفاق، وهم إنما يريدون أن يكيدوا الجاهل، ويصيدوا الغافل، أما الذي رأى كلماتهم، وسمع سَبَّاتهم، فلا يخفى عليه أن شرا لكنائن الخبأة الطلعة.

أما قال وهابي دهلي: إن محمد ﷺ لا يعلم شيئاً حتى حال خاتمة نفسه دع ذلك المهين، ودع أمثاله من الأسفلين.

أما قال إمامهم الدهلوي(*) في «تقوية الإيمان» إن من ادعى لنبي علم المغيبات أو علم عدد أوراق شجرة فقد أشرك بالله سواء قال إنه يعلمه بنفسه أو بعطاء الله تعالى على كل وجه يثبت الشرك؟!!

(*) محمد إسماعيل بن عبد الغني بن الشاه ولي الله الدهلوي (١١٩٣-١٢٤٦) يعد أول من رسخ عقائد الوهابية المبتدعة في شبه القارة الهندية وأكثر من استعمال ألفاظ الكفر والشرك في مؤلفه (تقوية الإيمان). ومعلوم أن هذه الألفاظ لم تسق في حق أهل السنة المتوسلين بالأولياء أو المستغيثين بهم قبل ابن تيمية الحراني. فتأثر الديوبندية بأباطيل ابن تيمية وابن عبد الوهاب النجدي أمر لا شك فيه. والديوبندية دائمو الثناء على إسماعيل الدهلوي من حيث قلد ابن تيمية والنجدي. يقول سعيد الأعظمي الندوي عن أثر دعوة إسماعيل الشهيد: «ولما انقشع سحاب الابتداع والإشراك إلى أكبر حد، ومجَّ الناس عامة العقائد الباطلة وكرهوا التقاليد الفاسدة التي كانوا عاضين عليها بالنواجذ، واستقر الوضع وعاد كل شيء إلى نصابه [كذا] بدأ الشيخ إسماعيل يحثهم على الجهاد...» انظر كتابه المسمى (ساعة مع العارفين. ط دار المقطم ١٣٥). ورغم ما =

أَمَا قال كبيرهم الكنكوهي في «براهينه» إنه ﷺ لم يكـن يعلـم مـا وراء جـدار وجعله قول رسول الله ﷺ افتراء عليه ونـسب روايتـه بكـمال الوقاحـة إلى الـشيخ المحقق المحدث الدهلوي مع أن الشيخ رحمه الله تعالى إنما أورده إشـكالا وأجـاب بأنه لم[1] يثبت ولم تصح الرواية به كما نص عليه في مدارج النبوة، فأنى هذا مما نطـق به القرآن العظيم، ونصت عليـه صـحاح أحاديـث النبـي الكـريم، عليـه أفـضل الصلاة والتسليم، وامتلأت به زبر الأولين، وأسفار الآخرين من أئمة الـدين أنـه ﷺ علم علوم الأولين والآخرين، وعلم جميع ما كان وما يكون وتجلى له كـل شيء وعرف.

أما قولهم لا يعلم إلا ما عُلِّم فكلمة حق أريد بها باطل، وكـذا قـولهم بعـض المغيبات وبعض الأوقات فإنا لا ندعي أنه صلي الله تعالى عليـه وسـلم قـد أحـاط بجميع معلومات الله سبحانه وتعالى فإنـه محـال للمخلـوق كـما قـدمنا، وسـنلقي عليك أن تعليم الله تعالى له ﷺ كان بالقرآن والقرآن نزل نجماً نجماً، ولم يكن ينـزل كل وقت. فصدق البعض في الأوقات وفي المعلومات جميعاً(*).

---

(١) وكذلك قال الإمام ابن حجر العسقلاني «لا أصل له». انتهى. وقال الإمام ابن حجر المكـي في أفضل القرى: لم يعرف له سند انتهى من حسام الحرمين للمصنف حفظه الله تعالى.

= كان للمترجم من قدم في الجهاد فإن ذلك لا يعفيه من وزر نشر عقائد المكفرة في شبه القارة. وقد رد عليـه أكابر أسرة الشاه ولي الدهلوي ومنهم عمه الإمام عبد العزيز الدهلوي أشهر أبناء الـشاه ولي الله وكـذا عمـه الشيخ رفيع الدين الدهلوي فضلاً عن ثلاثمائة من علماء شبه القارة وعلماء الحرمين وبقية بلاد الإسلام.

(*) ظاهر قول النبي ﷺ:«فعلمت ما في السماوات وما في الأرض» وقوله «فـتجلى لي كـل شيء وعرفـت» أن العلم وإن كان يحدث لحضرة المصطفى ﷺ دفعة دفعة قبل هذه الرؤيا، فإن العلم قد حصل له فيها جملة. وقـد يكون لفظ «كل شيء» خرج مخرج الغالب ولا يفيد حدوث جميع العلم لحضرة النبـي ﷺ دفعـة واحـدة، بـل أغلبه.

مطلب

الوهابية أغبى وأغوى من المشركين

ولكنهم إنما يريدون به القليل والنزر اليسير قياساً له ﷺ على أنفسهم اللئيمة، كما هي للمشركين من قديم الزمان شيمة، إذ قالوا للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا بل هؤلاء أغبى وأغوى منهم، لأن المشركين إنما زعموا المثلية لقولهم:﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ ﴾ (يس: ١٥)

فإذا نفوا الإنزال والإرسال لم تبق عندهم إلا البشرية المشتركة بزعمهم.

أما هؤلاء فقائلون بالرسالة ومع ذلك ينزلون الرسل منزل أنفسهم (فسبحان مقلب القلوب والأبصار) ومنشأ هذا المرض فيهم إنهم يستكثرون علم ما كان وما يكون بالمعنى الذي ذكرنا. ولا يقع في تقدير عقولهم السخيفة صحته لرسول الله ﷺ فضلاً عن غيره من الأنبياء الكرام، والأولياء العظام، عليهم الصلاة والسلام. وما استكثروه إلا لأنهم ما قدروا الله حق قدره، ولم يعلموا سعة قدرته وأمره، ووزنوا الرسل بميزان أحلامهم، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه في أوهامهم.

أما نحن معاشر أهل الحق فقد علمنا ولله الحمد أن هذا الذي ذكرنا من تفاصيل كل ما كان من أول يوم وما يكون إلى آخر الأيام ليس بجنب علوم نبينا ﷺ إلا شيئاً قليلاً. والدليل عليه قوله عز وجل:﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٣).

أقول: امتن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على حبيبه ﷺ بتعليمه ما لم يعلم وختم الامتنان[1] بما دل على عظم تلك المنة العظمى، وفخامة هذه النعمة الكبرى، فقال:﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٣).

---

(١) الامتنان الإلهي به على محمد ﷺ كان كافيا لإثبات عظمة هذه المنة. فإن الملك لا يمتن على كبراء أمراء دولته إلا بشيء عظيم جليل فكيف بامتنان ملك الملوك على من جعله أكبر أمير وأعظم خليفة فكيف إذا ختم امتنانه بما ينص على كونه شيئاً عظيما ولله الحمد. انتهى.

ومعلوم أن ما كان وما يكون بالمعنى المذكور المثبت كله فرداً فرداً تفصيلاً تاماً في اللوح المحفوظ ليس إلا الدنيا، فإن الآخرة بعد اليوم الآخر وراءهما ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته التي لا يسعها لوح ولا قلم. وقد قال الله تعالى في الدنيا:﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ (النساء: ٧٧) فأني يقع ما استقله الله سبحانه وتعالى مما استعظمه وكبر شأنه، مع أن علمه ﷺ قد تعدى إلى ما بعد اليوم الآخر من الحشر والنشر والحساب والكتاب، تفاصيل ما هنالك من الثواب والعقاب، إلى نزول الناس منازلهم من الجنة والنار، إلى ما بعد ذلك مما شاء الله تعالى إعلامه.

وقد علم ﷺ من ذاته عز وجل وصفات ما لا يحصى قدرَه إلا الله المانح تلك العطايا لمصطفاه ﷺ فإذن ليس علم ما كان وما يكون المثبت في اللوح المحفوظ إلا بعضاً من علوم حبيبنا ﷺ فضلا عن أن يتكثر عليه، فلا يحصل لديه، ولهذا[1] قال الإمام الأجل الأبوصيري نفعنا الله تعالى ببركاته:

فَإِنَّ مِن جودِك الدنيا وضَرَّتَها ومن علومك عِلمَ اللَّوحِ والقلمِ

فأتى بـ (مِنْ) التبعيض، وألقى جبال الغيظ والغنط على كل قلب مريض، ﴿ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (آل عمران: ١١٩)

قال العلامة علي القاري في (الزبدة شرح البردة) تحت البيت المذكور توضيحه:

---

(١) وقال المولى ملك العلماء بحر العلوم أبو العياش عبد العلي محمد اللكنوي قدس سره في خطبة حواشيه على شرح السيد زاهد للرسالة القطبية في التصور والتصديق، يمدح نبينا ﷺ بما نصه: وعلمه علوما بعضها ما احتوى عليه القلم الأعلى وما استطاع على إحاطتها اللوح الأوفى، لم يلد الدهر مثله من الأزل، ولم يولد إلى الأبد، فليس له في السماوات والأرض كفوا أحد». انتهى منه حفظه ربه سبحانه مدنية

إن المراد بعلم اللوح ما أُثبت فيه من النقوش القدسية والصور الغيبة، وبعلم القلم ما أثَبتَ فيه كما شاء، والإضافة لأدنى ملابسة، وكون علمها من علومه ﷺ أن علومه تتنوع إلى الكليات والجزيئات، وحقائق ودقائق وعوارف ومعارف تتعلق بالذات والصفات، وعلمهما(*) إنما يكون سطراً من سطور علمه ونهراً من بحور علمه ثم مع هذا هو من بركة وجوده ﷺ. انتهى. فالآن حصحص الحق وزالت الميون(**)، وخسر هنالك المبطلون، والحمد لله رب العالمين.

(*) أي اللوح والقلم.

(**) جمع مَيْن أي الكذب والافتراء.

النظر الخامس

في دلائل المدعي من الأحاديث والأقوال والآيات

فإن قلتَ - رحمك الله - بما أرشدت وأشرت إليه، فهمت الأمر كما هو عليه، وعلمت أن لا مجال هاهنا للشرك ولا للضلال، إذ لا نقول بمساواة علم الله تعالى ولا بحصوله بالاستقلال، ولا نثبت بعطاء الله تعالى أيضا إلا البعض، لكنْ بونٌ بيِّن بين البعض والبعض كالفرق بين السماء والأرض، بل أعظم وأكثر، والله أكبر فبعض[1] الوهابية بعض بغض وتوهين، وبعضناً بعض عز وتمكين لا يقدر قدره إلا الله تعالى ومن أعطاه. والآن أحب أن أسمع شيئاً من دلائل القرآن والحديث، وأقوال أئمة القديم والحديث، كما شوقتني إليه فيما مررت عليه.

قلت: يا أخي رحمنا ورحمك الله قد أومأت لك إلى ما فيه كفاية، لأولي الدراية، وإن شئت بحاراً تتدفق، وأقمارا تتألق فعليك بكتابي «مالئ الجيب بعلوم الغيب» وكتابي «اللؤلؤ المكنون في علم البشير ما كان وما يكون» وبمرأى منك رسالتي «إنباء المصطفى بحال سر وأخفى» وإن أبيت إلا قضاء ما تمنيت، فحسبك حديث البخاري عن أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ قال:

«قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم»(*).

---

(١) (فبعض الوهابية) أي البعض الذي تقول به الوهابية، خذلهم الله تعالى، هو(بعض) قلة وذلة صادر عن (بغض) منهم لفضائل حبيبنا ﷺ (و) مؤد إلى (توهين) لشأنه ﷺ (وبعضنا) الذي نحن نقول به بحمد الله تعالى هو (بعض) عظمة أي البعض الأعظم الأجل الذي لا يقدر قدره إلا الله تعالى ثم من حباه، لأن جميع ما كان وما يكون ليس إلا قطرة من ذلك البعض العظيم الصادر عن أجل (عز) لحبيبنا ﷺ في الحضرة الإلهية (و) أعلى (تمكين) منه تعالى له ﷺ في المقامات العلية. منه حفظه ربه مكية

....

(*) رواه البخاري في صحيحه (كتاب بدء الخلق/ ٢٩٥٣).

وحديث مسلم عن عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ في خطبته ﷺ من الفجر إلى الغروب، وفيه «وأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا»(*).

وحديث الصحيحين عن حذيفة ﷺ قال:

«قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به»(**).

حديث الترمذي عن معاذ بن جبل ﷺ وفيه قوله ﷺ فرأيته عز وجل وضع كفه بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي. فتجلى لي كل شيء وعرفت.

صححه البخاري والترمذي وابن ماجة وابن خزيمة والأئمة بعدهم(***).

وحديثه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وفيه قوله ﷺ:«فعلمت ما في السماوات والأرض وفي أخرى فعلمت ما بين المشرق والمغرب»(****).

وحديث مسند الإمام أحمد ﷺ وطبقات ابن سعد وكبير الطبراني بسند صحيح عن أبي ذر الغفاري، وحديث أبي يعلي وابن منيع والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما قالا:

لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما(*****).

(*) رواه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة/ ٥١٤٩)، وأحمد في المسند (٢١٨١٧).

(**) رواه البخاري في صحيحه (كتاب القدر/ ٦١١٤)، ومسلم (الفتن وأشراط الساعة/ ٥١٤٧).

(***) لم أجده في الصحيح ولا ابن ماجة وقد تقدم تخريجه قريباً فانظره.

(****) انظر التخريج السابق

(*****) رواه في المسند (٢٠٣٩٩).

وفي الصحيحين في حديث الكسوف ما في شيء لم أكن أريته[1] إلا رأيته في مقامي هذا أو كما[2] قال ﷺ(*).

وقد ذكرنا لك حديث «إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه» إلى غير ذلك مما كثر عدده، ويطول سرده، وحسبك من أقوال الأئمة السادة، والعلماء القادة، قول صاحب البردة المذكور:

ومن علومك علم اللوح والقلم

---

(١) قال الإمام القسطلاني في كتاب العلم من الإرشاد أي مما تصح رؤيته عقلا كرؤية الباري تعالى ويليق عرفا مما يتعلق بأمر الدين وغيره. انتهى. وكأنه رحمه الله تعالى يشير إلى استثناء نحو العورات.

أقول: لكن التخصيص العرفي بما يليق يليق بالرؤية العرفية، وما العرف إلا في العرفية أما الكشفية فهذا خليل الله إبراهيم لما أراه ربه ملكوت السماوات والأرض أي رجلاً يزني ثم آخر يزني ثم ثالثا يزني. رواه عبد بن حميد وأبو الشيخ والبيهقي في الشعبة عن عطاء وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وأبو الشيخ عن سلمان الفارسي ﷺ. وفي رواية أنه رأى سبعة على الفاحشة واحدا بعد واحد رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن شهر بن حوشب. وقد قال القسطلاني في الكسوف باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف وقال: «ما من شيء من الأشياء كنت لم أره إلا قد رأيته رؤيا عين» انتهى. فهذا إجزاء للكلمة على عمومها وهو الصحيح الصافي من الكدر. والله تعالى أعلم.

(٢) زدته لأن الفقير صنف هذا الكتاب بمكة المكرمة في نحو ثمان ساعات من يومين ما خلا النظر السادس المزيد بعد ذلك ولم يكن عندي الكتب كما ذكرته في الخطبة، فوقع لي التردد في اللفظة قبل إلا أهو رأيته أو أريته فذكرت أحدهما وقلت أو كما قال ﷺ ثم لما رجعت إلى بلدي واتفقت مراجعة الكتب وجدته في صحيح مسلم باللفظ الأول في الموضعين مع زيادة قد أي إلا قد رأيته، وفي صحيح البخاري بألفاظ شتى منها المثبت في الكتاب.

(*) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجمعة/ ٩٩٤)، ومسلم (الكسوف/ ١٥٠٩)، وأحمد في المسند (٢٥٦٨٨) ومالك في الموطأ (النداء للصلاة/ ٤٠١).

مع توضيحه من العلامة القاري وفي شرح المشكوة للشيخ المحقق عبد الحق تحت قوله ﷺ «فعلمت ما في السماوات والأرض» عبارة عن حصول جميع العلوم الجزئية والكلية والإحاطة بها.

وفي نسيم الرياض شرح الشفاء الإمام القاضي عياض للعلامة الخفاجي، وشرح المواهب اللدنية، والمنح المحمدية للعلامة الزرقاني تحت حديث أبي ذر وأبي الدرداء رضي الله تعالى عنهما في إخباره ﷺ من حال كل طائر يطير بجناحيه في الجو: هذا تمثيل لبيان كل شيء، تفصيلاً تارة وإجمالاً أخرى.

قال الإمام أحمد القسطلاني في المواهب: ولا شك أن الله تعالى قد أطلعه على أزيد من ذلك وألقى عليه علوم الأولين والآخرين.

قال الإمام البوصيري: وسع العالمين علماً وحلماً.

قال الإمام ابن حجر المكي في شرحه أفضل القرى لقراء أم القرى: لأن الله تعالى أطلعه على العالم، فعلم علم الأولين والآخرين وما كان وما يكون.

وفي نسيم الرياض أنه[1] ﷺ عرضت عليه الخلائق من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الأسماء.

وقال القاضي ثم القاري ثم المناوي في التيسير شرح الجامع الصغير للإمام السيوطي رحمهم الله تعالى: النفوس القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية اتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى وتسمع الكل كالمشاهد.

وقال الإمام ابن الحاج المكي في «المدخل» والإمام القسطلاني في «المواهب»، قد قال علماؤنا رحمهم الله تعالى لا فرق بين موته وحياته ﷺ في مشاهدته لأمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك جلي عنده لا خفاء به انتهى.

---

(١) أوله ذكر العراقي في «شرح المهذب» أنه ﷺ عرضت عليه... إلخ

وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ (الأحزاب: ٤٥) انتهى.

قال القاري في «شرح الشفاء» في توجيه السلام على رسول الله ﷺ عند الدخول في بيوت خالية لا أحد فيها، لأن روح النبي ﷺ حاضرة في بيوت أهل الإسلام.

وفي «مدارج النبوة» للشيخ المحقق عبد الحق البخاري الدهلوي: «كل ما في الدنيا من زمن آدم إلى النفخة الأولى كشفه الله تعالى على نبيه ﷺ حتى علم جميع الأحوال من الأول إلى الأخر».

وفيها(*): هو ﷺ عالم بجميع الأشياء من الشئونات والأحكام الإلهية وصفات الحق والأسماء والأفعال والآثار، أحاط بجميع علوم الظاهر والباطن والأول والآخر، وصار مصداقَ ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ (يوسف: ٧٦)

عليه من الصلوات ومن التحيات أتمها وأكملها انتهى.

أقول: والآية عام غير مخصوص منه شيء فإذا نظرت إلى غيره ﷺ من العالمين فنبينا ﷺ هو العليم فوق كل ذي علم. وإذا نظرت إليه ﷺ فالله هو العليم لا عليم فوقه ولا يصح(١) إطلاق ذي علم على الله سبحانه وتعالى لدلالة التنكير على التبعيض، فلا حاجة إلى التخصيص.

---

(١) قلته بما علمني إيماني بربي ثم رأيت في كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي، قال: وذكر الأستاذ أبو نصر البغدادي رحمه الله تعالى إنا لا نقول إن الله تعالى ذو علم على التنكير وإنما نقول إنه ذو العلم على التعريف كما نقول إنه ذو الجلال والإكرام على التعريف ولا نقول ذو جلال وإكرام على التنكير. انتهى. وقد بسطت الكلام على هذا وأنه أين يمنع من التنكير وأين لا يمنع مثل ذو مغفرة وذو رحمة وغيرهما، وأين يقال ذو فضل على الناس ولا يقال ذو فضل مع بيان الوجوه في رسالتي في أسماء الله الحسنى.

(*) أي في مدارج النبوة.

وفي فيوض الحرمين للشاه ولي الله الدهلوي أفاض عليَّ من جنابه المقدس ﷺ كيفيةَ ترقي العبد من حيزه إلى حيز القدس فيتجلى له كل شيء، كما أخبر عن هذا المشهد في قصة المعراج المنامي. انتهى.

وأما الآيات فقد مر بعضها ونُبَذٌ من جهة الاحتجاج بها.

وأنا أقول وبالله التوفيق، هذا كلام ربنا عز وجل قولاً فصلاً وحكماً عدلاً قائلاً وقوله الحق:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩)، وقال تعالى:﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (يوسف: ١١١)، وقال تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨)

فالقرآن العظيم شهيد وما أعظمه من شهيد أنه تبيان لكل شيء والتبيان البيان[1] الواضح الجلي الذي لا يبقى خفاءً، فإن زيادة المباني دليل زيادة المعاني،

---

(١) زعم بعض العصريين أن المراد بالبيان الواضح البليغ كثرة القضايا المبينة فيه فالمبالغة باعتبار الكم لا باعتبار الكيف. قال: ونظير هذا قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده وعلى ذلك حمل بعضهم قوله تعالى:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦)(*). =

(*) خلاصة كلام الشيخ هنا ألرد على من زعم أن المبالغة في البيان باستعمال كلمة «بيان» تعني كثرة القضايا التي يبينها القرآن الكريم قياساً على المبالغة في قوله تعالى:﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ حيث كانت المبالغة – كما ذهب إليه البعض – لكثرة ما يتعلق به الظلم فأنت تقول: ظالم لعبده، وتقول ظلام لعبيده. وليس الأمر على هذا النحو لأن المبالغة في قوله تعالى:﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ واقعة على كل فرد من أفراد كلمة «شيء» على حدة وليست عائدة على كثرة الأشياء، فهي مبالغة «كيف» يقع على كل شيء على حدة أي أن الكتاب العزيز على كل شيء في الوجود جلياً لا يبقى معه خفاء، فليس المراد الكثرة العامة للقضايا التي يتناولها كتاب الله عز وجل كما هو الحال في قولك: ظلام لعبيده الذي يفيد كثرة المظلومين دون المبالغة في ظلم كل واحد منهم كما ذهب البعض، بينما قوله تعالى: ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ يفيد وقوع المبالغة كماً – على كل فرد من أفراد كلمة شيء، وكيفاً ببيان كل شيء في الوجود بياناً واضحاً جلياً لا يبقى معه خفاء، ولما كان الأمر هكذا، كان لابد من وجود من يكون له القرآن المجيد تبياناً لكل شيء حواه الوجود ألا وهو سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ.

والبيان لابد له من مبين وهو الله سبحانه وتعالى ومبين له وهو الذي نزل عليه القرآن سيدنا رسول الله ﷺ.

والشيء عند أهل السنة كل موجود، فدخل فيه جميع الموجودات من الفرش إلى العرش ومن الشرق إلى الغرب من الذوات والحالات والحركات والسكنات واللمحات واللحظات والخطرات والإرادات إلى غير ذلك. ومن جملتها كتابة اللوح المحفوظ فلابد أن يكون القرآن الكريم بياناً واضحاً وتفصيلاً تاماً لكل ذلك، ولنسأل عن هذا أيضا الفرقان الحكيم أن اللوح ماذا كتب فيه(**): قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ (القمر: ٥٣).

= أقول: لعمرك هذا لهو التحويل الشديد والقياس على «ظلاّم العبيد» سحيق بعيد، فإن التبيان مضافٌ إلى كل فرد فرد ولو من الأحكام الدينية على زعم التخصيص فلا يكتسب الكثرةَ من كثرةِ المتعلَّقات، كما اكتسب الظلمُ في ظلاّم لعبيده من تعلقه بكثيرين، فما نحن فيه ليس كقولهم: ظلام لعبيده، بل كأن يقال: ظلام لكل منهم ولا مساغ فيه لما زعم كما لا يخفى.

ثم إذا تعلقت المبالغة في البيان بكل فرد فرد لم يُفِدْ، والفرق بالكم والكيف، كيف وأن كل شيء أو كل حكم ديني إذا تعلق به بيانات كثيرة أوجبت له إيضاحا بالغاً وهو المقصود، ثم علاوة عليه شيء أخر لم يتفطن له وإلا لما ارتضاه وهو أنه ليؤل على هذا والعياذ بالله إلى فرية على الله تعالى أنه بين في القرآن كل حكم مراراً كي تعرض لبيان كل حكم الكثرة الكمية وهو واضح البطلان بشهادة العيان(*).

ثم هذا المراد مع بطلانه ليس من المأثور في شيء ولا عبرة بزلة حدثت قريباً، فالحكم بأن مراد الله تعالى كذا هو التفسير بالرأي وهو المنهي عنه لكونه شهادة على الله تعالى أنه عنى باللفظ هذا مع قيام الدليل على بطلانه فضلا عن عدم قيام دليل ظني على صحته خُلفةً عن قيام دليل قطعي به، فليجعله أشد من أشد من مصداق قول الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى (انظر رسالتهم ص٥) ولكن نسأل الله جميعا العفو والعافية. انتهى. منه سلمه الله تعالى مدنية

(*) وكما قال الأصوليون التأسيس خير من التكرار، فلو صدق ما زعموه من كون المبالغة واقعة للكثرة الكمية للبيان، لكان تكراراً لذاته وتكراراً محضاً.

(**) أي لنسأل الفرقان الحكيم ماذا كتب في اللوح.

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢)

وقال تعالى: ﴿ وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام: ٥٩)

وقد بين صحاح الأحاديث أن اللوح مكتوب فيه كل كائن من أول يوم إلى اليوم الأخر بل إلى دخول أهل الدارين منازلهم وهو المراد بما جاء في حديث من لفظة «إلى الأبد»(*) فإن الأبد يطلق ويراد به الأمد المديد فيما يأتي، كما في البيضاوي وإلا تفاصيل[1] ما لا يتناهي لا يتحمله ما تناهى كما لا يخفى، وهذا هو المعبر عنه

---

(١) انظر هذا التصريح الجلي وأنَصُّ منه ما قدمت في النظر الأول أن العرش والفرش حدان حاصران وأول يوم إلى اليوم الآخر حدان آخران وما كان محصورا بين حاصرين لا يكون إلا متناهيا ثم إن كان عندك عجب فأعجب من دندنوا عليه بوجهين أحدهما أن القرآن باعتبار ألفاظه متناه لا يجوز أن يحيط بغير المتناهي إلخ. وهذا كما ترى رد على وهم تصوروه بل خلقوه وصوروه. الثاني، زعم أن لو لم ينص القرآن المجيد على غير المتناهي بالفعل تفصيلا لم يدخل في ذلك على وجه اليقين المغيبات الخمس إلخ.

وقد علمت أن مقصودنا إحاطة ما كان وما يكون المثبت في اللوح المحفوظ وهو شيء متناه والآيات دلت على إحاطة البيان والتفصيل لكل موجود وقت النزول وهو منه قطعاً، فلماذا يتوقف شموله على شمول الغير المتناهي بالفعل أهو غير متناه بنفسه أم الآيات دلت على أشياء مبهمة غير معينة من بين غير متناه فلا يعلم دخولها ما لم يمر البيان على جميع غير المتناهي تفصيلاً؟ ولعمري مثل هذا لم يكن يحتاج إلى البيان ولكن قلة التدبر نسأل الله العافية

(*) المقصود قطعة من آخر الحديث الذي رواه الترمذي في كتاب القدر (٢٠٨١) عن عبادة بن الصامت ﷺ وفيها «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: أكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد». قال أبو عيسى: وهذا حديث غريب من هذا الوجه. ورواه باختصار في كتاب تفسير القرآن (٣٢٤١) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب وفيه عن ابن عباس. اهـ. وعزاه في تحفة الأحوذي إلى أبي وقال: وسكت عليه هو والمنذري. وقد فسر عبارة «إلى الأبد» بما فسره المؤلف وقال: «المراد منه هاهنا الزمان الطويل. قلت: ويدل على ذلك رواية ابن عباس ففيها إلى أن تقوم الساعة. رواها البيهقي وغيره والحاكم وصححها». انتهى من تحفة الأحوذي.

بما كان وما يكون، وقد بين في علم الأصول أن النكرة في حيز النفي تعم[1] فلا

(١) أقول: الخلاف ولم يخف عنا ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل. ومن شدة قصور النظر ادعاء الاتفاق على التخصيص، فذلك قول من حفظ شيئا وغابت عنه أشياء. قال الإمام الجليل السُمَيْنُ في تفسيره ثم العلامة الجمل في الفتوحات الإلهية تحت قوله تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨) ما نصه: اختلفوا في الكتاب ما المراد به؟ فقيل اللوح المحفوظ وعلى هذا فالعموم ظاهر، لأن الله تعالى أثبت ما كان وما يكون فيه، وقيل القرآن، وعلى هذا فهل العموم باق؟ منهم من قال: نعم وإن جميع الأشياء مثبت في القرآن إما بالتصريح وإما بالإيماء، ومنهم من قال إنه يراد به الخصوص والمعنى من شيء يحتاج إليه المكلفون. انتهى. ولفظ الخازن: وقيل إن المراد بالكتاب القرآن يعني أن القرآن مشتمل على جميع الأحوال. انتهى. وقال الله تعالى: ﴿ تَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (يونس: ٣٧)

قال في الجلالين: تفصيل الكتاب: تبيين ما كتبه الله تعالى من الأحكام وغيرها. قال في الجمل(*) قوله تبيين ما كتبه الله تعالى أي في اللوح المحفوظ. انتهى.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهما عن سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ قال إن الله تعالى أنزل هذا الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد علمنا بعضاً مما بين لنا في القرآن ثم تلا ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩).

وأخرج سعيد بن منصور في سننه وابن أبي شيبة في مصنفه وعبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد كتاب الزهد لأبيه، وابن الضريس في فضائل القرآن وابن نصر المروزي في كتابه «في كتاب الله» والطبراني في المعجم الكبير والبيهقي في شعب الإيمان، عنه ﷺ قال: من أراد العلم فَلْيُثَوِّرْ القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين، وفي قوله ﷺ «فليثور» رد أيما رد على العميان الذين يقولون ما نرى في القرآن إلا أحرفا يسيرة في أوراق عديدة أنى تحتمل ما كان وما يكون؟ ولعمري ما شبهت قول هؤلاء الطاعنين الطاغين إلا بقول المشركين قبلهم كيف يسع العالمين إله واحد. وقد بينت ذلك بحمد الله تعالى تبعيداً للأوهام وتقريبا إلى الأفهام في رسالتي «إنباء الحي أن كلامه المصون تبيان لكل شيء»، وحسبك ما نقل العلامة القاري في المرقاة قال: قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم.

وعن علي كرم الله تعالى وجهه لو شئت أن أوقر سبعين بعيراً من تفسير القرآن لفعلت انتهى. =

(*) أي في حاشية العلامة سليمان الجمل على الجلالين المسماة الفتوحات الإلهية.

= ولفظ العلامة إبراهيم البيجوري في شرح البردة في الأول: لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر، ولفظه(*) في أثر أمير المؤمنين لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير الفاتحة. انتهى.

وفي «اليواقيت والجواهر» لسيدي الإمام عبد الوهاب الشعراني عن الإمام الأجل أبي تراب النخشبي، أين هؤلاء المنكرون من قول علي بن أبي طالب ﷺ لو تكلمت لكم في تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقراً. انتهى.

وفي شرح العشماوي لصلاة سيدي أحمد الكبير ﷺ عن سيدي عمر المحضار، لو أردت أن أملي من تفسير ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ (البقرة: ١٠٦)، حمل مائة ألف جمل وما ينفد تفسيرها لفعلت.

وفيه عن بعض الأولياء من بيت أبي فضل وجدنا تحت كل حرف من القرآن أربعمائة ألف لك من المعاني وكل حرف منه له معان في موضع غير المعاني التي له في موضع آخر

قال وقال سيدي علي الخواص نفع الله به إن الله تعالى أطلعني على معاني سورة الفاتحة فظهر لي منها مائة ألف علم وأربعون ألف علم وتسعمائة وتسعون علماً. انتهى.

وفي الزرقاني على المواهب: ذكر الغزالي في كتابه في بيان العلم اللدني في قول علي ﷺ: لو طويت لي وسادة لقلت في الباء من بسم الله سبعين جملاً. انتهى

وفي ميزان الشريعة الكبرى للإمام الشعراني قد استخراج أخي أفضل الدين من سورة الفاتحة مائتي ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعين علما، ثم ردها كلها إلى البسملة، ثم إلى الباء، ثم إلى النقطة التي تحت الباء وكان ﷺ يقول لا يكمل الرجل عندنا في مقام المعرفة بالقرآن حتى يستخرج جميع أحكامه وجميع مذاهب المجتهدين فيها من أي حرف شاء من حروف الهجاء. انتهى.

قال ويؤيده في ذلك قول الإمام علي ﷺ لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيرا من علم النقطة التي تحت الباء. انتهى. =

(*) [حاشية المؤلف] وهكذا ذكره الإمام السيوطي عن الإمام الأجل العارف ابن أبي جمرة عن علي كرم الله وجه ولفظه أنه قال «لو شئت أن أوقر سبعين من أم القرآن لفعلت» انتهى فظاهر سقوط لفظ«أم» من عبارة القاري من قلم الناسخ

= أقول: وبأمثال هذه تظهر حقيقة قول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله. رواه عنه أبو الفضل المرسي كما في الإتقان. فَمِنْ ضيق العطن بل بعض الظن تحويله إلى أن المعنى لوجد في القرآن ما يرشده إلى طريق وجدانه. وهذا الإمام الجليل الجلال السيوطي رحمه الله تعالى قائلا في النوع الثالث والأربعين من الإتقان. قال الجويني، واستخرج بعض الأئمة من قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ (الروم: ١-٢) أن البيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ووقع كما قال .انتهى.

أقول فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ معلوم فيما(*) ذكره المؤرخون كابن أثير في الكامل. أما الجويني فقد تقدم حتفه على فتحه بنحو من مائة وخمسين سنة فضلا عن الإمام الذي حكى عنه الجويني هذا الاستخراج، قال ابن خلكان، أبو محمد الجويني توفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين كذا قال السمعاني في كتاب الذيل. وقال في الأنساب سنة أربع وثلاثين وأربعمائة بنيسابور. انتهى.

فجملة «ووقع كما قال» من كلام الإمام السيوطي لا الإمام الجويني رحمهما الله تعالى فسبحان من أكرم هذه الأمة بنبيها صلى الله تعالى عليه وعليها وبارك وسلم، ولعمري لو قيل لهؤلاء أخبروا كيف استخرج هذا من قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ لحاروا وما أجابوا(**) بشيء أصلا، فكيف نحكم بجهلنا على علم حبر الأمة الذي دعا له النبي ﷺ: اللهم علمه الكتاب(***).

وقد أخرج ابن سراقة في كتاب الإعجاز عن الإمام أبي بكر بن المجاهد قال ما من شيء في العالم إلا وهو في كتاب الله تعالى. انتهى.

وفي الطبقات الكبرى من ترجمة سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ كان يقول لو فتح الحق تعالى عن قلوبكم أقفال السد لاطلعتم على ما في القرآن من العجائب والحكم والمعاني والعلوم. واستغنيتم عن النظر في سواه فإن فيه جميع ما رقم في صفحات الوجود، قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ٣٨). =

(*) بالأصول: فيها.

(**) في (أ): يعقل وفي (ب) نعقل.

(***) في (أ): فيه بدأناه وفيه ختمناه!

يجوز أن يكون الله تعالى فرط في كتابه شيئاً، وأن لفظة الكل من أنص النصوص على العموم فلا يصح أن يبقى من التبيان والتفصيل شيء، وأن العام[1] قطعي في إفادة الاستغراق، وأن النصوص واجبة الحمل على ظواهرها ما لم يصرف دليل صحيح وأن التخصيص والتأويل، من دون إلجاء دليل، تبديل وتحويل، وإلا

= وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهما عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مولى أمير المؤمنين عمر ﷺ في قوله تعالى:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ قال لِمَ نغفل(*) الكتاب؟ ما من شيء إلا هو في ذلك الكتاب، وروى الديلمي في «مسند الفردوس» عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، وقد قدمناه عن ابن مسعود ﷺ «فبه بدأنا وفبه ختمنا»(**).

وقد ظهر لك بطلان دعوى الاتفاق على التخصيص إما أن تطلع على الاختلاف، وكلما تلي عليك قول لا يوافق هواك خلته صائلا عليك تدفعه بما استطعت فترد بلسانك كل عموم إلى الخصوص وتسلم أن هذا عموم ثم تقول يجب حمله على وجه الخصوص فهذا حكم الهوى وظلم بالنصوص، ولو ساغ هذا لما بقي خلاف قط في العموم والخصوص كما لا يخفى والله الهادي. انتهى. منه حفظه ربه تعالى مدنية

(١) أقول فرق بين القطع الكلامي والقطع الأصولي أعني أصول الفقه. ألا ترى أن قطعية العام مجتَهَد فيها(***) فلا تكون من القطع الكلامي في شيء، فليس تمسكُ حنفيٍ بعموم قرآني والحكم بكونه قطعيا في مذهبه حكما جازما على مراد الجليل ولا خروجا عن حدود التأويل كما لا يخفى على كل عارف نبيل. انتهى. منه حفظه ربه مدنية

(*) بالأصول: أحاروا.

(**) لم أجده بهذا اللفظ والمشهور من رواية أحمد في المسند (٢٢٧٤(«وعلمه التأويل». أما عبارة «وعلمه الكتاب» فوردت في حق معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق جزء ٥٩ عن عروة بن رويم اللخمي قال: دعا رسول الله ﷺ لمعاوية فقال: اللهم أهده وأهد به وعلمه الكتاب والحساب وقه العذاب.

(***) في الأصول: مجتهد فيه فيها

ارتفع الأمان عن الشرع الجليل وأن حديث الآحاد وإن بلغ ما بلغ من درجات الصحة لا يصلح مخصصاً لعموم الكتاب بل يضمحل دونه، فكيف بما دونه من قال وقيل؟ وأن التخصيص المتراخي نسخ والأخبار لا تقبل النسخ، وأن التخصيص العقلي لا ينزل العام عن قطعيته وأنه لا يجوز التخصيص بظني متمسكاً بخروج هذا عن كليته فإذن قد استقر عرش التحقيق ولله الحمد على علم[1] نبينا ﷺ بما كان ويكون.

وإذ قد علمت أن علمه ﷺ مستفاد من القرآن العظيم. وكونه تفصيلاً لكل شيء وتبياناً بكل شيء وصف للكتاب الكريم لا لكل آية آية أو سورة سورة منه، والقرآن ما نزل دفعة بل نَجْما نجما في نحو ثلاث وعشرين سنة. فكلما نزلت آية أو سورة زادته ﷺ علوماً إلى علوم إلى أن تم نزول القرآن، فتم لكل شيء التفصيل والتبيان، وأتم الله نعمته على حبيبه كما كان وعد به في القرآن، فقبل أن يتم النزول قيل[*] له ﷺ في بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم نقصصهم عليك، وفي

---

(١) عارضني فيه بعض العلماء في المدينة الكريمة بقوله تعالى في التوراة (وتفصيلا لكل شيء)، فقلت له هل قام دليل على التخصيص في التوراة أم لا؟ على الثاني فيم الإنكار؟ وعلى الأول قيام الدليل في الكليم الجليل كيف يكون قياما في الحبيب الجميل عليهما الصلاة والسلام بالتبجيل. وتخصيص لفظ في موضع بالدليل لم يوجبه في موضع آخر بلا دليل؟ فسكت ولم يقدر على بنت شفة.

والآن أقول: اخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال لما ألقى موسى الألواح بقي الهدى والرحمة، وذهب التفصيل. وأخرج أبو عبيد وابن المنذر عنه أن سعيد بن جبير قال كانت الألواح من زمرد فلما ألقاها موسى ذهب التفصيل وبقي الهدى والرحمة وقرأ ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٤٥) وقرأ ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ (الأعراف: ١٥٤) قال لم يذكر التفصيل ها هنا فانقطعت الشبهة رأسا. منه حفظه ربه مدنية

(*) في الأصول: أن قيل.

المنافقين لا تعلمهم أو توقف ﷺ في قصة أو قضية، حتى نزل الوحي وأتى بالجلية، فلا هو لتلك الآيات مناف، ولا لإحاطة علمه ﷺ ناف، كما ليس بخاف، على ذوي الإنصاف.

فكلما تعلقت به الوهابية لنفي علمه ﷺ من قصص وروايات إن لم يعلم تاريخه، فالتمسك به جهل سفيه وسفاهة جهول، لجواز أن يكون ذلك قبل إكمال النزول، وإن علم وتقدم فالاستناد خرط القتاد، بل محض جنون، والجنون فنون، وإن تأخر فإن لم يكن نصا في ادِّعاه(*)، فالمستدل سفيه والاستدلال واه، وأنا أحمد ربي ولوجهه الكريم الأكبر أن كلما تشبثت به الوهابية في تقصير علم المصطفى ﷺ فلا يخرج من إحدى هذه الصور، ولئن سلمنا[1] على سبيل فرض الغلط أن وجدت هنا رواية معلومة التاريخ متأخرة القصة عن تكامل التنزيل قطعية الإفادة في نفي حصول العلم ببعض الأشياء أصلاً، فيكفينا جوابٌ جامع، وافٍ نافعٌ،

(١) من جهل(**) الوهابية التمسك ها هنا بحديث الشفاعة: «فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه» فإن الحمد والثناء عليه تعالى بأوصافه الجميل: فيفيد الحديث أنه إذ ذاك ينكشف عليه ﷺ من صفاته تعالى ما لا يعلمه الآن وهذا لا يمس محل النزاع فقد أذناك أن علمه ﷺ ذاتَه وصفاتَه(***) لن يحيطنَّ بشيء منهما أبدا لاستحالة إحاطة المتناهي بما لا يتناهي فيزيد ﷺ إلي أبد الآباد علوما جديدة بذاته تعالى ولا يبلغ الكنه والإحاطة أبداً فإن الحاصل(****) أبداً متناه والباقي أبداً غير متناه، فلا فيه خلاف لما ادعيناه ولا إحاطة بكنه صفات الله ولكن من لم يفهم فليفه بما فاه. انتهى.

(*) كذا بالأصول أي: ادِّعائِه، وحذفت الهمزة للتخفيف، ويجوز: أن يكون في الكلام سقط فتكون فيما ادعاه، على كون ادَّعاه فعل.

(**) [حاشية المؤلف] عرض هذا الوهم الرسالة المفتراة أيضاً وهو أيضاً من أمارات أن علمته أيدي الوهابية أو حرفته بشيمتها الكذابية.

(***) أي علم المصطفى بذات الله وصفاته، بحذف باء التعدية، والضمير في «يحيطن» عائد على النبي ﷺ.

(****) أي الحادث المخلوق وهو هنا سيدنا محمد ﷺ.

نافٍ قـامعٌ لجميـع القعـاقع، شـاف كـاف في كـل الوقـائع، أن أخبـار الآحـاد إذا عارضت الآيات انسد باب التـأويلات، لم تغـن ولم تُـسْمِع، ولم تُـسْمِن ولم تنفـع، ولئن ذكرتُ هاهنا نصوص الفحول، في كتب الأصول، فأحـسنُ وأمكـنُ منـه أن آتى بشهادة إمام وهابية العصر في الهند «رشيد أحمد الكنكوهي»(*) إذ قال في كتابـه المقبول لديه المنسوب إلى تلميذه «خليل أحمد الأنبتهي» في نفس هذه المسألة أعنـي مسألة إعلامه تعالى له ﷺ بالمغيبات جاعلاً لها من باب العقائد لا باب الفضائل مـا ترجمته (براهين قاطعة). [و](**) مسائل العقائد ليست قياسيات تثبت بالقياس، بل قطعيات تثبت بالنصوص القاطعة، حتى أن حديث الآحاد أيضا لا تفيد هنـا فـلا يلتفت إلى إثباتها ما لم تثبت بالقواطع.

(*) ولد سنة ١٢٤٤هـ في قرية كنكوه التـي تبعـد ١٦ مـيلاً عـن سـهارنفور وزامـل الـشيخ محمـد قاسـم النانوتوي في الدراسة بدهلي وقرأ الحديث على الشيخ عبـد الغنـي المجـددي الفـاروقي الـسرهندي وتلقـى التصوف عن الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وسلك فيه. وجاهد ضد الاحتلال الانجليـزي للهنـد ووقـع في الأسر ثم أفرج عنه، واقتدى به عدد من الناس في السجن وحـسن حـالهم ثـم تـولى الإشراف عـلى مدرسـة ديوبند التي تخرج منها العديد من العلماء. وهاجر في آخر حياته إلى الحجـاز ودرس الحـديث بـالحرم النبـوي مدة وتوفي سنة ١٣٢٣ ودفن في كنكوه. وهاهنا كلمة لابد منها، فنقول كل أحد يؤخذ منه ويرد إلا المعـصوم ﷺ، والتحقيقات التي يتضمنها كتاب السيد أحمد رضاخان رحمـه الله يقـر المـصنف بـسلامتها وأن كاتبهـا لا يصدر إلا عن سنية راسخة ومحبة لذات النبي ﷺ شامخة. ولا شك أن الديوبنديـة تـأثروا بأفكـار ابـن تيميـة الدخيلة مع كونهم ماتريدية العقيدة، أضاف الفروع، صوفي السلوك ولعل مبدأ هـذا التـأثير كـان مـع الـولي الدهلوي رحمه الله مع علو كعبه في علوم التصوف ثم مع إسماعيل الدهلوي صاحب الكتاب المسمى «تقويـة الإيمان». ومشرب السيد أحمد رضاخان هو مـشربنا ومـشرب أكـابر رجـال التـصوف وعلـماء أهـل الـسنة الحقيقيين الذين يكثر سيدي أحمد رضا في الاحتجاج بأقوالهم، وليت الخـلاف بـين الفـريقين يأخـذ حجمـه الطبيعي فنحن نراه متضخماً بلا داع فالفريقـان صـوفية ماتريديـة أضـاف ولا يبقـى إلا الخـلاف في مـسائل الاستغاثة بالأولياء ونحوها من المسائل، وهذه – على عكـس مـا يـذهب الديوبنديـة – ليـست مـن مـسائل العقيدة مادام المستغيث لا يعتقد في الولي الاستقلال بالنفع والضر.

(**) ما بين المعقوفتين لتوضيح المعنى.

وقال في ص ٨١ العبرة في الاعتقاديات بالقطعيات لا بالصحاح الظنيات، وفي ص٨٧ أحاديث الآحاد الصحاح أيضا لا تعتبر كما برهن عليه في فن الأصول. انتهى.

فانجلى الحال وزال عن الحق كلُ إشكال. ألا فليجتمع وهابية كنكوه وديوبند ودهلي، وكل جلف جاف بدوي وجبلي، وليأتوا بنص قطعي الدلالة يقيني الإفادة مجزوم الثبوت كآية القرآن أو حديث متواتر يحكم بقطع قاطع وجزم ظاهر أن بعض الوقائع قد خفيت على النبي ﷺ بعد تكميل التنزيل بحيث أنه لا يعلمها أصلاً، لا[1] أنه علم وكتم لأن عنده من العلوم ما يُكتم، أو علم وذَهَلَ حيناً لاشتغال باله بأمر أخر أعظم وأهم، فإن الذهول لا ينفي العلم بل يقتضي سبق العلم كما لا يخفى على ذي فهم. ألا فأتوا ببرهان كذا إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعملوا أن الله لا يهدي كيد الخائنين.

ومن تعاجيب الدهر أن «الكنكوهي» المذكور جعل حصول فضيلة العلم لرسول الله ﷺ من باب العقائد ليرد أحاديث صحاح البخاري ومسلم وغيرهما كما ذكر. ولما أتى على سَلْبِ علمِه ﷺ جعله من باب الفضائل المقبول فيه الضعاف حتى تمسك بتلك الرواية الساقطة التي صرحت الأئمة أن لا أصل لها أعني رواية: «لا أعلم ما وراء هذا الجدار».

فيا للمسلمين! هل هذا إلا لما في قلبه من غيظ شديد على فضائل رسول الله ﷺ فلا يرضى لثبوتها بأحاديث الصحيحين ويتثبت لردها بكل ساقط وباطل ومين، أفهكذا يكون الإسلام كلا وربِ هذا البيت.

---

(١) يشير إلى كلام نفيس جليل جميل فصلناه في اللؤلؤ المكنون أحسن تفصيل وطويناه ها هنا لأن العجالة لا تحتمل الإطالة والحمد لله ذي الجلالة. منه حفظه ربه مكية

وليكن على ذكرٍ منكم أن هذا الكتاب «البراهين القاطعة» المنسوبة إلى «خليل أحمد الأنبتهي» الذي شهد العام حج البيت الحرام وهو الآن موجود هنا وقرظ عليه شيخه «رشيد أحمد الكنكوهي» وصَوَّبَ كلَّ حرف حرف منه قد رد عليه ساداتنا علماء الحرمين المحترمين أكرمهم الله تعالى ووفقهم لحماية حوزة الدين، ونكاية الضلال والمضلين، فقال مولانا الشيخ الأجل محمد صالح ابن المرحوم صديق كمال الحنفي مفتي الحنفية إذ ذاك في تقريظه على كتاب «تقديس الوكيل عن توهين الرشيد والخليل»(*) المؤلفَ في الرد على هذين والتنكيل ما نصه: «حكم صاحب البراهين مع المؤيدين والمقرظين حكم المتزندقين بيقين».

وقال سيدنا شيخ علماء الحرم مفتي الشافعية مولانا الأجل محمد سعيد بابصيل ما نصه: «أما صاحب البراهين والمؤيدين له فهم أشبه بالشياطين وأهل الزيغ والزندقة إن لم يكونوا كفاراً بيقين».

أما مفتي المالكية إذ ذاك الشيخ الفاضل محمد عابد ابن المرحوم الشيخ حسين فمدح راد «البراهين» وسمى صاحبها بالمُفْتَنِّ.

وقال مفتي الحنابلة مولانا خلف بن إبراهيم: ما أجاب به صاحب التعقبات على صاحب البراهين والمؤيدين له فهو الحق لا محيص عنه.

وقال مولانا الأجل عثمان بن عبد السلام الداغستاني مفتي الحنفية بالمدينة المنورة ما نصه: «اطلعت على هذا الرد المتين على صاحب البراهين التي دلت على سراب بقيعة بَرْهَنَتْ على سخافة عقل ملفق كلماتها الفظيعة فلعمري أنه لعميق الغوص في الحجج الضلال مستحق الخزى من ذي الملكوت والجلال». انتهى.

(*) وهو لمؤلف كتابنا هذا السيد أحمد رضاخان.

وقال السيد الجليل محمد على بن السيد ظاهر الوتري الحنفي المدني ما نصه: «ما نقله الشيخ الراد عن صاحب البراهين وعن المؤيدين له الفسقة فإنه كفر صراح وزندقة». انتهى.

كيف لا وهذه البراهين المنسوبة إلى خليل أحمد المكتوبة بأمر أستاذه الكنكوهي وتلقينه قد نسب فيها ربنا تبارك وتعالى إلى إمكان الكذب (انظروا ص٣)، ونبيّنا ﷺ إلى نقصان علمه من علم اللعين إبليس(*) (انظروا ص٤٧).

وجعل مجلس ميلاده ﷺ والقيام عند ذكر ولادته ﷺ مماثلاً ونظيراً لما تفعل مشركو الهند لإلههم الباطل المسمى «كنهيا» أنه إذا جاء يوم ولادته يأتون بامرأة كأنها حاملة، ثم تحاكي حالة المرأة عند الوضع فتئِنُّ أنينا، وتلتوي حينا فحينا، ثم يستخرجون من تحتها صورة ولد ويرقصون ويلعبون، ويصفقون ويزمرون، إلى غير ذلك من ملاعبهم الخبيثة، فشبه مجلس ميلاد المصطفى ﷺ بهذا. قال: بل هؤلاء أزيد من أولئك المشركين لأنهم إنما يفعلون في تاريخ معين وهؤلاء لا قيد عندهم إذا شاؤا صنعوا هذه الخرافات انظروا ص١٤١.

ولما احتج أهل السنة عليه بعلماء الحرمين الكريمين أنهم يعقدون مجلس الميلاد الكريم، وكتبوا مراراً فتاوى كثيرة في استحباب هذا العمل الفخيم، جعل يهجوهم وينقِّصُهم في الإيمان والديانة، ويفضل عليهم وهابية بلدته ديوبند في الدين والديانة، فقال في ص١٧و١٨ ما ترجمته: «حال علماء ديوبند مستبصراً أن لباسهم وهيأتهم مطابق للشرع يصلون بالجماعات على الوجه الحسن، ولا

(*) أي أن علم النبي ﷺ أقل من علم اللعين إبليس. ونستغفر الله من هذا الكلام:

فَإِنَّ فَضلَ رسولِ اللهِ لَيسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعرِبَ عَنهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

يقصرون في الأمر بالمعروف مهما قدروا، ولا يراعون في كتابة الفتاوى غنياً ولا فقيراً، يجيبون بالحق وإن نبهوا على خطأ بشرط الصحة هذه الأوصاف كلها واضحة فيهم من شاء فليختبرهم، وهذا هو آية قبولهم عند الله تعالى.

أما علماء مكة المعظمة فمَن نظرهم مع عقل وعلم فقد علمهم خبراً ومن لم يذهب إليها فهو ببيان الثقات يعلم كمن يرى أن أكثر علماء مكة - لا كلهم لأن فيهم متقين أيضا - لباسهم خلاف الشرع يُسبلون الأكمام والأذيال، ولحية أكثرهم أقل من قبضة ولا يحتاطون في الصلاة، وليس عندهم مع قدرتهم الأمر بالمعروف اسمٌ ولا أثرٌ أكثرهم الخواتيم والفتخات المحرمة، قطع الصفوف شائع فيهم، سلم لهم شيئا من الفلوس يكتبوا لك الفتوى بما تهوى، وإن أطلعهم أحد على عصيانهم تأهبوا لضربه. وهذا شيخ علماء مكة يريد (مولانا السيد أحمد زيني دحلان قُدِّسَ سِرُّه العزيز) لا يخفى على أحد ما عمل مع شيخ هندنا المولوي رحمت الله، وكتب إيمانَ أبي طالب على خلاف صحاح الأحاديث بأخذ دراهم رشوة من رافضي بغداد، (وعلى هذا إلى أين أكتب، فإن فيه طولا ويلحقني حياء أيضا أن أكتب هجو علماء الحرمين لكن كتبت ضرورة) قال«ومفاسدهم هذه توجب لهم البعد والخسران أزيد وأشد، إلى أن قال ص٢٠ إني سألت عالماً أعمى يقص في مسجد مكة بعد العصر عن مجلس الميلاد(*)، فقال بدعة وحرام».

فارتضى ذلك القاصَ الأعمى لأجل تحريمه مجلس الذكر الشريف، فاستحب العمى على الهدى. نسأل الله الحفظ عن الردى، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين أبداً. آمين.

(*) في (أ): ميلاد.

النظر السادس

في معنى خمس لا يعلمهن إلا الله

عسى أن يقول بعض من لا معرفة له بمعاني النصوص وموارد العموم والخصوص: إنكم إذا أثبتم لنبيكم ﷺ علم جميع ما كان وما يكون من أول يوم إلى آخر الأيام، فقد دخلت فيه خمس لا يعلمهن إلا الله فأين ذهب اختصاصها بالله تعالى؟

أقول: يا هذا ما أسرع ما نسيت ما ألقينا عليك أن الاختصاص بربنا تبارك وتعالى إنما هي بمعنى الاستقلال والإحاطة بجميع علوم ذي الجلال، أما مطلق العلم العطائي فثابت لعباده، بإثباته تعالى وإرشاده.

أما علمت أن علم ما كان وما يكون لم نثبته لهذا النبي الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم من عند أنفسنا، بل الله أثبت والقرآن أثبت والنبي أثبت ﷺ والصحابة أثبتوا وبعدهم الأئمة أثبتوا كما تلونا وروينا ونقلنا وحكينا، فأنى تصرفون؟ مالكم كيف تحكمون؟ أتردون آيات الله بعضها ببعض وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعلقون؟!

أما وعيتم ما أسمعناكم أن الله تعالى نفى نفيا لا مرد له، وأثبت إثباتا لا محيد عنه، فوجب الجمع وقد حُلِّيَ بوجوه السمع، فكأنكم تُصْغون ولا تسمعون، وتنظرون ولا تبصرون.

فإن قلت: قد عد الله تعالى هذه الخمس وخصها بالذكر فلابد لها من مزية على غيرها في الاختصاص بالله تعالى فالإعلام يجري فيما وراءها لا فيها وإلا لبطلت خصوصية اختصاصها لكونها إذن كسائر الغيوب في الانكشاف بالإعلام.

قلت: أولاً: مهلا إياك والعجل، فإن العجل يأتي بالزلل، إن بغيت المحاورة، على سَنَنِ المناظرة[1]، فمن أين لك ادعاء الخصوصية في الاختصاص فإن الآية هكذا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان: ٣٤).

فأنى دلالتها على اختصاص الخمس جميعا، فضلا عن خصوصية الاختصاص؟ ألا ترى أن في بعضها ليس بشيء مما يدل على الحصر والقصر كقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾.

مطلب

الذكر في مقام الحمد لا يوجب الاختصاص مطلقاً

ولا نسلم أن مجرد الذكر في مقام الحمد يوجب الاختصاص مطلقا. فقد مدح الله سبحانه وتعالى نفسه بالسمع والبصر والعلم ووصف بها عباده أيضا ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ (السجدة: ٩) ومن ذلك قول موسى على نبينا

---

(١) من لم يتأمل قولي على سنن المناظرة فليدندن بها شاء، فإنه كلام من لم يصل إلى العنقود، ثم من الجرأة ادعاء أن النبي ﷺ فهم الحصر من هذه الآية ومتى أخبرك النبي ﷺ بهذا؟ فالحكم به عليه ﷺ تحكم جسيم وخطأ عظيم، بل هو ﷺ فسر «مفاتيح الغيب» بهذا الخمس وقد صرحت تلك الكريمة بقوله عز وجل: ﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ (الأنعام: ٥٩) فمن هنا أتى الحصر.

ثم من العجب زعم أن هذه الكريمة الأخرى إنما تدل على الحصر مع ضميمة حديث «لا يعلمهن إلا الله» فسبحان الله ممن لا يكتفي بقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ما لم يضم إليه قوله ﷺ «لا يعلمهن إلا الله»

ثم من الفرية على أني ادعيت عدم دلالة الكريمة الأخرى على الحصر وهذه رسالتي بين عينيك لا ذكر فيها ها هنا لهذه الكريمة. إنما تكلمت على دلالة الكريمة الأولى وذلك أيضا على سنن المناظرة كما ترى. نسأل الله العفو والعافية. انتهى.

الكريم وعليه الصلاة والسلام «لا يضل ربي» والأنبياء أيضا منزهون عن الضلال ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾ (الأعراف: ٦١)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ (النساء: ٤٠) والأنبياء أيضا مبرءون عن الظلم قال: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤).

ثانياً: سلمنا الدلالة على الاختصاص فأي خصوصية للخمس فيه بحيث لا يبقى للإعلام الإلهي إليها سبيل.

مطلب

العدد لا ينفي الزائد

فإنه إن كان استدلالا بنحو مفهوم اللقب وهو باطل مبرهن على بطلانه في الأصول، فإن الآية ليس فيها لفظ الخمس أيضا حتى يرجع إلى مفهوم العدد، والحديث وإن ذكر فيه هذا اللفظ فمع قطع النظر عما قدمنا أن خبر الآحاد، يصلح للاعتماد، في باب الاعتقاد، لا نسلم[1] أن العدد في أمثال المقام ينبغي ما زاد،

---

(١) ثم رأيت في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري من تفسير سورة الرعد ما نصه: «ذكر خمسا وإن كان الغيب لا يتناهى لأن العدد لا ينفي الزيادة أو لأنهم كانوا يعتقدون معرفتها. انتهى. ولفظه في الأنعام كانوا يدعون علمها.

وفي «عمدة القاري»[*] من «الإيمان» قيل ما وجه الانحصار في هذا الخمس مع أن الأمور التي لا يعلمها إلا الله كثيرة. وأجيب بأنه إما لأنهم كانوا سألوا الرسول ﷺ عن هذه الخمس فنزلت الآية جوابا لهم. وإما لأنها عائدة إلى هذه الخمس فافهم. انتهى.

أقول لا معنى لعود ما وراءها إليها فإن كنه ذاته وصفاته تعالى لا يعلمه إلا هو ولا يرجع إلى شيء من الخمس وكأنه إلى هذا يشير بقوله: «فافهم». وكذلك في قول القسطلاني: «كانوا يعتقدون معرفتها ويدعون علمها» نظر ظاهر بالنظر إلى الساعة فإنهم لم يكونوا يؤمنون بها فضلا عن ادعاء معرفتها، والجواب الشافي ما ألقاه الله تعالى على عبده الضعيف كما سيأتي. انتهى. منه مدنية

(*) وهو شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني الحنفي، ومن «الإيمان» أي شرحه على كتاب الإيمان من صحيح البخاري.

أما سمعت قوله ﷺ أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي مع أنه ﷺ خص بعطايا كثيرة لا تعد ولا تحصى.

والحديث جاء من وجه أخر بلفظ فضلت على الأنبياء بست فالخمس تنفي الست فيتناقضان ثم هما في سرد الخصال متخالفان فعد في كل منهما ما لم يعد في الأخر فعلى تقدير إفادة العدد الحصر يلزم تنافي الأحاديث الصحيحة المقبولة كلها عند الأئمة بوجوه شتى والعبد الضعيف قد جمع الأحاديث الماشية على هذا نسق في رسالة سميتها البحث الفاحص عن طرق أحاديث الخصائص فوجدها عادة من اثنين إلى عشر، وكلٌ يذكر ما ليس في صاحبه، وقد نافت الخصائص المذكورة فيها على ثلاثين فأين الخمس وأين الست؟ ومن تتبع باب ثلاث وباب أربع وباب خمس ونظائرها من الجامع الصغير ومن ذيله ومن جمع الجوامع أيقن أن العدد لا يقضى بالحصر في شيء من أمثال هذا المقام، ولعلك تقول هذا كله واضح ولكن لابد لتخصيصهن بالذكر من نكتة.

مطلب

نكتة تخصيص ذكر الخمس

أقول: وبالله التوفيق نعم نكتة(*) وأية نكتة رفيعة جليلة بديعة جميلة ومن لطفها أنها تقضي على الوهابية بعكس ما فهمته أفهامهم الذليلة، فاستمع لما ألهم الله سبحانه وتعالى.

اعلم(1) أن في الغيوب كثرة عظيمة سوى هذه الخمس حتى أن مجموع أفراد الخمس بحذافيرها لا تبلغ جزءاً من عشر عشير معشار(**) ما سواها فالله تعالى

---

(1) قوله اعلم إلخ هذا من الأسرار الربانية والحكم الإلهية والفيوضات الرحمانية =

(*) النُكْتَة: المسألة العلمية الدقيقة يُتوصل إليها بدقة وإنعام فكر. وهي العلامة الخفية، والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس (المعجم الوسيط ٩٥٠).

(**) بالأصول: معشاره.

غيب الغيب، وهو على كل شيء شهيد. وكل صفة من صفاته غيب، والبرزخ غيب، والجنة غيب، والنار غيب، والكتاب غيب، والحشر غيب، والنشر غيب، والملائكة غيب، وجنود ربك سواهم غيب، إلى غيوب لا يمكن لنا إحصاء أجناسها فضلا عن أفرادها.

ومعلوم أن كلها أو جلها أشد غيبة من أكثر الخمس وما ذكر الله تعالى في هذه الآية منها شيئاً، وإنما أتى بهذه، وفَلَمْ يخصها لزيادة تغلغلها في الكمون والبطون، بل إن الزمان كان زمان الكهان وكان الكفرة يدَّعون علوم الغيب بالرَّمْل(*) وبالتنجيم وبالقيافة(**) وبالعيافة(***) وبالزجر وبالطير وبالأزلام(****)، وبغير ذلك من هوساتهم المغشاة بالظلام. وما كانوا يبحثون عما ذكرنا من علم الذات والصفات والمعاد

= والاختصاصات الوهبية أن رزق الله مؤلف هذا الكتاب الجليل حكمة ذكر الخمس، من دون ما فوقها من المغيبات وأطلعه الله تعالى على ما تختص من النكت الجليلات ولله در ابن مالك إذ يقول في طالعة تسهيله وإذ كانت العلوم عطايا إلهية ومنحا ربانية فلا غرابة أن يدخر للمتأخرين ما صعب فهمه على كثير من المتقدمين. انتهى. وحسب الواقف على مثل هذه التحقيقات أن يتلو قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ (فاطر: ٢) وقوله جل شأنه وعز سلطانه ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢١). انتهى.

كتبه الفقير حمد بن الجزائري (مدنية حمدانية) هذا ثاني الحواشي التي تفضل بها على كتابي سعادة علامة المغرب مولانا حمدان، حمد فعاله الحنان آمين، والحمد لله رب العالمين. انتهى.

(*) علم يبحث عن المجهولات.

(**) القائف من يحسن معرفة الأثر وتتبعه، والقيافة حرفة القائف (المعجم الوسيط ٧٦٩).

(***) العيافة والزجر بمعنى واحد كما في لسان العرب وهو ضرب من التكهن، تقول: زجرتُ أنه يكون كذا وكذا، والزجر للطير هو التيمن والتشاؤم بها.

(****) الأزلام جمع زَلَم وهو السهم الذي لا ريش عليه وكان أهل الجاهلية يستقسمون بالأزلام أي يكتبون عليها الأمر والنهي ويضعونها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده في الوعاء وأخرج سهماً، فإن أخرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كف.

والأملاك، ولا لإدراكها طريق أصلاً في تلك الفنون الداعية إلى الهلاك، وإنما كانوا يقولون عن الأمطار متى تكون أين تكون، والأجنة هل هي بنات أم بنون، وعن المكاسب والمتاجر، والرابح فيها والخاسر، وعن قفول المسافر إلى بيته، أو موته ثم في غربته.

فخصت هذه الأربع بالذكر بمعنى أن التي تدَّعون علمها بفنونكم الأباطيل، فإن علمها عند الملك الجليل، ليس إليها من دون إعلامه تعالى سبيل، وضم إليها علم الساعة لأنها من جنس ما يبحثون عنها وهو الموت فهم كانوا يخبرون عن موت أحاد من الناس. والساعة موت كل من في الأرض. وقد علم من عرف النجوم أن الكواكب على زعم ذلك الفن أشد دلالة على الحوادث العامة من الخاصة، وفي خراب دار وهلاك رجل ليست عندهم ضوابط تقطع بها بزعمهم أيضا، فإن أنظار الكواكب واتصالاتها وأوضاعها ودلالتها ربما تتعارض في الأمور الجزئية، بل قلما يوجد بيت من بيوت زائجة(*) ولادة أو تحويل عام في عمر أحد، والكواكب الذي فيه وهو ناظر إليه خالياً عن تعارض القوة والضعف فإن كان له وجه إلى الشر فوجه أخر إلى الخير وهم إنما يخمنون ويرجحون، وبما يقع عندهم الغلبة يحكمون.

أما الانقلاب العام في العالم فله عندهم ضابطة مستقرة مستمرة وهو القِران الأعظم أعني اجتماع العُلْوِيَّيْنِ: زحل والمشترى في أوائل أحد من البروج الثلاثة

(*) الزِّيج: كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم ويستخرج بواسطتها التقويم سنة بسنة. وقال ابن خلدون في المقدمة علم الأزياج ومن فروعه علم الأزياج وهو صناعة حسابية على قوانين عددية، فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك، يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها، على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة.

النارية: الحمل والأسد والقوس، كما كان ذلك في زمن طوفان نوح عليه الصلاة والسلام.

ومعلوم أن الحساب[1] ينبئ عن القرانات الآتية كالماضية، وأنها بعد كم سنة تكون وكيف تكون وفي أية درجة، بل دقيقة من أي برج يكون وما جهته؟ وكم

---

(١) وقد حكمت المحاسبات أن لو بقيت الدنيا ليقعن القِران الأعظم بين العلويين بعد خمسمائة وثمان وأربعين سنة من تاريخنا هذا، الثالث والعشرين من ذي القعدة، سنة ألف وثمانمائة وإحدى وسبعين من الهجرة، قُرَيْبَ نصفِ الليل في الدرجة الثالثة من الحمل كل ذلك بالوسطى. فلئن بقيت الدنيا لم يبعد أن تقوم الساعة في المحرم الذي يليه أو الذي قبله من عامه لأن حكم القِران يبتديء في هذين إذا بقي الفصل بينهما ع جه(*) وينتهي إذا صار بعد القِران ط جه. والله تعالى أعلم انتهى. منه حفظه ربه مدنية

ثم عَنَّ لي احتمال أن يكون رأس تلك المائة زمن ظهور سيدنا الإمام الموعود ﷺ وترجح ذلك عندي بما رأيت للسان الحقائق سيد المكاشفين سيدنا الأمام الأجل الشيخ الأكبر ﷺ في كتابه الدر المكنون والجوهر المصون من قوله:

إذا دار الزمان على حروف	ببسم الله فالمهدي قاما
ويخرج بالحطيم عقيب صوم	ألا فأقرئه(**) من عندي سلاما

أما ما في الحديث أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وأنا في آخرها ألفاً. رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في دلائل النبوة عن الضحاك بن زهل الجهني ﷺ عن النبي ﷺ.

وقوله ﷺ إني لأرجو أن لا تَعْجِزَ أمتى عند ربها عز وجل أن يؤخرهم نصف يوم. رواة الإمام أحمد وأبو داود ونعيم بن حماد والحاكم والبيهقي في البعث، والضياء بسند جيد عن سعد بن أبي وقاص ﷺ وفيه قيل لسعد، وكم نصف يوم؟ قال، خمسمائة سنة.

وللبيهقي في البعث عن أبي ثعلبة ﷺ أنه قال الله لا تعجز هذه الأمة من نصف يوم. =

(*) وجد هذان الحرفان وما بعدهما هكذا بالأصول ولعلها إشارات بحساب الجمَّل أو بلغة الأرواح إلى توقيتات زمنية أراد المصنف إخفاءها.

(**) بالأصول: فاقرأه.

بقاؤه؟ وهل يكون كاسفاً أم كاشفاً إلى غير ذلك، فإن النجوم مسخرات بحساب قويم، ذلك تقدير العزيز العليم، فَوُبِّخُوا بذكر الساعة أن لو كان لعلومكم هذه حقيقة كما تزعمون لكان علمكم بالساعة أسرع من علمكم بموت فلان، لكنكم لا تعلمون، إن أنتم إلا تخرصون.

فهذه والله أعلم نكتة تخصيص الذكر، ولله الحمد على تسديد الفكر، أَتْقِنْ هذا فإنه من فيوض هذا البيت الكريم، وسانح الوقت بعون النبي الرحيم، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم.

مطلب

حصر العلم في الله لا يوجب النفي عن عباد الله وكذا كل ما يصح أن يظهر عباده

ثالثاً: نعم قال النبي ﷺ: «خمس لا يعلمهن إلا الله»(*). وقال الله عز وجل: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (النمل: ٦٥).

فخصص الرسول وعمم الإله(**)، وإنا بكل مؤمنون، فإن الخصوص لا ينفي العموم، فلا يعلم الخمس إلا الله ولا يعلم غيرها من الغيوب التي هي أعلى وأشرف وأدق وألطف منها إلا الله.

= أقول: لا يبعد أن يترجى ﷺ إمهال نصف فيمنحه يوما كاملاً أو ما شاء من زيادة بما قال ﷺ. ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٢٤) انتهى.

فقال ربه عز وجل ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (آل عمران: ١٢٥) فزاده ألفين ولله الحمد.

(*) رواه البخاري في الصحيح (كتاب الإيمان/ ٤٨) ومسلم (كتاب الإيمان/ ١٠)، وابن ماجة (المقدمة/ ٦٣) وأحمد في المسند (٤٨٨٧).

(**) أي خصص الرسول ﷺ علم الله بالغيب في الخمس، وأما المولى عز وجل فقد عمم فذكر في الآية الغيب عامة.

مطلب

لا موجود إلا الله(*)

أقول: بل لا يعلم شيء إلا الله بل لا وجود حقيقياً إلا لله وقد جعل النبي ﷺ أصدق كلمة قالها العرب قول لبيد:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ

وقد تقرر عندنا أن كلمة لا إله إلا الله معناها عند العامة لا معبود إلا الله، وعند الخاصة لا مقصود إلا الله، وعند الأخصين لا مشهود إلا الله، وعند المنتهين لا موجود إلا الله(**)، والكل حق ومدار الإيمان على الأول ومناط الصلاح الثاني وتمام السلوك بالثالث وملاك الوصول هو الرابع. رزقنا الله من جميعها حظاً وافياً بمنه وكرمه آمين.

مطلب

أشعار سواد بن قارب ﷺ(***)

وبيان رده على الوهابية بوجوه في الشفاعة والاستغاثة والإغناء

وقد أنشد سواد بن قارب ﷺ عند النبي ﷺ:

(*) أي لا موجود على الحقيقة إلا الله، وهو الوجود الواجب لذاته وغيره وجود ممكن ناقص، كقول النبي ﷺ في الحديث «لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب» أي صلاة كاملة، رواه أحمد وأبو داود.

(**) على خلاف في ذلك، فقد ذهب مجدد الألف الثاني الإمام أحمد الفاروقي السرهندي (ت١٠٣١) إلى أن وحدة الشهود أعلى من وحدة الوجود، وأن الوحدة الوجودية مقام لا ينبغي للسالك الوقوف عنده، بل عليه أن يتجاوزه إلى وحدة الشهود. وذكر ذلك في عدة مواضع من مكتوباته.

(***) قال ابن حجر في الإصابة:

سواد بن قارب الدوسي أو السدوسي قال البخاري وأبو حاتم والبرديجي والدارقطني له صحبة. =

فأشـــــهد أن الله لا شيء غـــــيره	وأنــك مــأمون عــلى كــل غائــب
وأنـــك أدنـــى المرســلين شــفاعة	إلى الله يــا ابــن الأكــرمين الأطائــب
فكــن لي شــفيعا يــوم لا ذو شــفاعة	ســواك بمغــن عــن ســواد بــن قــارب

هكذا روينا في المسند وإن كانت الرواية الأخرى «لا رب غيره»(*).

أقول: **فأولاً**: نفى الوجود عن كل شيء سوى الله تعالى.

وثانياً: أثبت علم المغيبات لنبينا ﷺ حيث جعله أمينا على جميع الغيوب والجاهل عن شيء لا يكون أمينا عليه.

وثالثاً: آمن بأن نبينا ﷺ قد أعطى الشفاعة كما قال ﷺ في حديث مسلم وأعطيت الشفاعة لا كما قالت الوهابية أنه لم يعطها بعد وإنما يؤذن له فيها يوم القيامة قصدوا بذلك أن لا يستغاث به ﷺ الآن، لأنه لا يقدر الآن على الشفاعة. ونبذوا قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا

= وروى بن أبي خيثمة ومحمد بن هارون الروياني من طريق أبي جعفر الباقر قال دخل رجل يقال له سواد بن قارب الدوسي على عمر فقال يا سواد نشدتك الله هل تحسن من كهانتك شيئًا اليوم؟ قال: سبحان الله! والله يا أمير المؤمنين ما استقبلت أحدًا من جلسائك بمثل ما استقبلتني به فقال: سبحان الله يا سواد ما كنا عليه من شركنا أعظم من كهانتك فحدثني حديثك. قال: إنه لعجب، كنت كاهنا في الجاهلية، فبينا أنا نائم إذ أتاني جني فضربني برجله ثم قال يا سواد بن قارب اسمع أقل لك، قلت هات، قال:

عجبـــت للجـــن وأرجاســـها	ورحلهـــا العـــيس بأحلاســـها
تهـــوي إلى مكـــة تبغـــي الهـــدى	مـــا مؤمنوهـــا مثـــل أنجاســـها
فارحـــل إلى الـــصفوة مـــن هاشـــم	واســـم بعينيـــك إلى رأســـها

(*) رواية «لا شيء غيره» رواها الفريابي في دلائل النبوة وابن النجار في ذيل تاريخ بغداد جـ٤، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧)، ورواية «لا رب غيره» رواها الطبراني في الكبير (٦٣٥٧).

رَّحِيمًا ﴾ (النســـاء: ٦٤) ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠١)(*).

ورابعاً: آمن بأنه ﷺ هو الأقرب شفاعة لا كما قال كبير الوهابية إنه تعالى إذا أراد الاحتيال لمغفرة النادم التائب - ولا شفاعة عنده إلا له لا لمن أذنب ولم يتب - فإنه يقيم من شاء شفيعاً له من دون تخصيص(**).

وخامساً: استغاث به ﷺ رداً على الوهابية.

وسادساً: ترقى عن أقربية شفاعته ﷺ فحصر الشفاعة فيه - وهو الحق - أما سائر الشفعاء فيشفعون عنده ﷺ ولا يشفع عند الله تعالى إلا هو كما قال ﷺ: «أنا صاحب شفاعتهم ولا فخر»(***).

وسابعاً: أثبت له ﷺ الإغناء عن المتوسلين به رداً على كبير الوهابية الذي زعم أنه ﷺ لا يغني عن بنته فضلا عن غيرها.

فانظر إلى عظم نفع هذه الكلمات اليسيرة من ذلك الصحابي الكريم ﵁ وقد نطق الحديث أنه ﷺ أقره على جميع ذلك هذا وقال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ (المائدة: ١٠٩)، أقول: فتكلموا على أصل الحقيقة ونفوا عنهم العلم رأساً لأن الظل إذا قابل الأصل لم تبق له دعوى.

(*) وردت الآية ناقصة موضع الاحتجاج منها بالأصول.

(**) وهو كلام غريب مُتمحَّل لا قيمة له.

(***) رواه الترمذي (كتاب المناقب/ ٣٥٤٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، ورواه ابن ماجة (كتاب الزهد/ ٤٣٠٥) وأحمد في المسند (٢٠٢٩٣). وقال السندي في شرحه لسنن ابن ماجة شارحاً قوله ﷺ (وصاحب شفاعتهم) «... لأن الناس حين توجهوا إليهم كان اللائق بهم أن يشنعوا لهم، فإذا أتى هو ﷺ بالشفاعة فقد أتى بشفاعتهم فليتأمل».

وقالت الملائكة: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ (البقرة: ٣٢) فتكلمت عن الحقيقة العطائية فأتت بالثُّنْيا(*) فكان الأنبياء أكثر أدباً وأعظم إجلالاً منها، على جميعهم الصلاة والسلام، [و](**) هي أيضا تذكرت فرجعت وحصرت فقالت: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣٢) أي لا علم إلا لك.

وبالجملة فالكل لله وما يعلم أحد إلا بالله فيرجع الأمر إلى ما حقق الأئمة الأمجاد أن المنفي(١) هو الاستقلال والاستبداد.

ونقل بعض أصحابنا عن «الروض النضير شرح الجامع الصغير»(***) من أحاديث البشير النذير ﷺ ما نصه: أما قوله ﷺ«إلا هو» مفسر بأنه لا يعلمها أحد بذاته إلا هو، لكن قد تعلم بإعلام الله فإن ثمة من يعلمها وقد وجدنا ذلك لغير واحد كما رأينا جماعة علموا متى يموتون وعلموا ما في الأرحام حال حمل المرأة وقبله. انتهى.

قلت: وفي «شرح الصدور» للإمام السيوطي «وبهجة الأسرار» للإمام الأجل نور الدين أبي الحسن على اللخمي الشطنوفي في «وروض الرياحين» «وخلاصة المفاخر» للإمام الأسعد عبد الله اليافعي الشافعي وغيرها من كتب القوم روايات كثيرة من هذا الباب عن الأولياء الكرام لا ينكرها إلا من حرم لا حرمنا الله بركاتهم.

---

(١) ومن علم أو نظر، ما سبق ومر، وضح في أول نظر، ثم ألزم التناقض في الآي الغرر، فقد غفل وعثر، فنسأل الله أن يغفر لنا جميعا ما عبر وما غبر. انتهى. منه حفظه ربه مدنية

(*) الثنيا: الاستثناء. قال في اللسان: حلف فلان يميناً ليس فيها ثنياً ولا ثَنوى ولا ثَنِيَّة ولا مثنوية ولا استثناء، كله بمعنى واحد.

(**) ما بينهما، لإيضاح المعنى.

(***) لم نهتد لشرح للجامع الصغير بهذا الاسم ولعله يقصد فيض القدير للإمام عبد الرءوف المناوي.

وكذلك نص الأمام ابن حجر المكي في شرح الهمزية بعطاء علم الغيوب من الخمس حيث قال: «إن علم الأنبياء والأولياء إنما هو بإعلام الله تعالى لهم وعلمنا بذلك إنما هو بإعلامهم، وهذا غير علم الله تعالى الذي تفرد به وهو صفة من صفاته القديمة الأزلية الدائمة الأبدية المنزهة عن التغير وسمات الحدوث والنقص والمشاركة والانقسام إلى قوله فلا ينافي في ذلك إطلاع الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس التي قال فيهن ﷺ: «خمس لا يعلمهن إلا الله»(*). انتهى.

ولذا قال الشيخ المحقق عبد الحق المحدث دهلوي قدس سره في شرح المشكاة تحت حديث «خمس لا يعلمهن إلا الله»، المعني(1) إنما لا يعلمها أحد بحسب عقله من(2) دون تعليم الله تعالى الله تعالى لأنها من الغيوب التي لا تعلم إلا بإعلامه عز وعلا. انتهى.

---

(1) ولفظ اللمعات المراد لا تعلم بدون تعليم الله تعالى. انتهى.

وقال الإمام القسطلاني في الإرشاد من سورة الأنعام وينزل الغيث فلا يعلم وقت إنزاله من غير تقديم ولا تأخير. وفي بلد لا يجاوز به إلا هو، لكن إذا أمر به علمته ملائكته الموكلون به ومن شاء الله من خلقه ويعلم ما في الأرحام لا أحد سواه لكن إذا أمر علمه الملائكة ومن شاء الله من خلقه والاستدراك مستفاد من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٧) والولي تابع للرسول يأخذ عنه. انتهى. بالتقاط فقد سرح بجريان الإعلام فيما شاء الله تعالى من هذه الخمس أيضا وهو أظهر من أن يظهر ولكن معاذ الله من طمس البصر. انتهى. منه مدنية

(2) كذلك قال الشهاب في عناية القاضي «عنده مفاتيح الغيب» وجه اختصاصها به تعالى أنه لا يعلمها كما هي ابتداء إلا هو. انتهى.

الحمد لله لا حاجة بنا إلى الاستكثار فقد قال السيد المدني في الرسالة المنسوبة إليه التي أتت بها الوهابية في ص٢٠ ما نصه ننقل لك ها هنا نصوصا عن بعض الأئمة الأعلام تحقيقا للمقام. =

(*) تقدم تخريجه.

وهذا الإمام الأجل(١) البدر محمود العيني(٢) قائلاً في عمدة القاري شرح صحيح البخاري ما نصه: قال القرطبي: لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه

= فنقول: قال الحافظ ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (لقمان: ٣٤) الآية. هذه عنده مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها. انتهى.

فوضح ولله الحمد وضوح الشمس في رابعة النهار أن معنى «لا يعلمهن إلا الله اختصاص علم الخمس به عز وجل من دون إعلام فلا يعلمها غيره إلا بإعلامه عز وجل. وهذا هو المدعى ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) الحمد لله جاء النصر وتم الأمر، وظهر أمر الله وهم كارهون.

(١) ونقله أيضا القاري في المرقاة تحت حديث جبرئيل عليه الصلاة والسلام وكذا القسطلاني في الإرشاد.

(٢) هؤلاء أكابر أجلة العلماء العظام من الحنفية والشافعية والمالكية كالإمام العيني والإمام القرطبي والإمام الشطنوفي والإمام اليافعي والإمام ابن كثير والإمام السيوطي والإمام القسطلاني والإمام ابن حجر و العلامة القاري والعلامة الشنواني والشيخ البيجوري والشيخ عبد الحق والشهاب الخفاجي وغيرهم، وأنت نفسك يا سيد وكل من صنف في سير الأولياء ومناقبهم والمصنفين من الصوفية الكرام عن آخرهم والمعتقدين فيهم من العلماء العاملين وأساطين الدين فنسبتهم جميعا بمخالفتهم لما فهم رسول الله ﷺ من القرآن الكريم على خطأ عظيم وأنهم خالفوا القطعي في الدين إذ نبذوا بهذا الحق والصواب الذي ليس فيه شك ولا ارتياب، مخاطرة عظيمة وجراءة جسيمة، وخطأ كبير وظن في شباب، وما تقول أنت في نفسك يا رفيع القباب.

ثم تعبيرهم «بشرذمة قليلة من المتأخرين، وبعض الصوفية، مكابرة للحس وتلبيس للحق»، بل هم الجم الغفير والسواد الكثير وغيرهم ولم يردوا عليهم كَلِمَهم إلى أنهم(*)، ولا عبرة بمن في قلبه مرض وله في ثلمة دينه فَرْضٌ(**) كالمعتزلة والرافضة والوهابية خذلهم الله تعالى، أو من زلت قدمه وطغى قلمه. نسأل الله العفو والعافية. انتهى.

(*) كذا بالأصول.

(**) أي له نصيب وإرث من المعتزلة والروافض في ثلم الدين وإيقاع الخلل به.

الأمور الخمسة لهذا الحديث، وقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب بهذه الخمس. قال: فمن ادعي علم شيء منها غير مُسْنَدٍ إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه. انتهى.

فانظر كيف قصر التكذيب على من لم يسنده إلى عالمٍ ما كان وما يكون ﷺ، فقد أفاد بأعلى ندائه أنه ﷺ يعلمها ويُعْلِمُها من يشاء من الأولياء. لا جرم أنْ نَّص العلامة إبراهيم البيجوري في شرح البردة، أنه لم يخرج ﷺ من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الأمور أي الخمس.

قلت: بل هذه كما بينا من أظهر الغيوب فالذي علمه من أبطن الغيوب ما لا يحصيه إلا من عَلَّمَ ومن عُلِّمَ جل جلاله وصلى الله تعالى عليه وبارك وسلم هل يضن عنه بهذه الظواهر الواقعة على طرف الثمام(*)؟!

وساقه الشنواني في «جمع النهاية» مساق الحديث فقال: قد ورد أن الله تعالى لم يخرج النبي ﷺ حتى أطلعه على كل شيء. انتهى.

قلت: وقد تلونا الآيات الناصة بذلك، وصحاح الأحاديث المصرحة بما هنالك، ونُقِل فيه أيضا عن بعض المفسرين ما نصه: «لا يعلم هذه الخمس علماً لدنياً ذاتياً بلا واسطة إلا الله تعالى. أما بواسطة فلا تختص به تعالى». انتهى. قلت: بل إذن تختص بغيره تعالى لاستحالة الواسطة في علمه عز وعلا.

وفي كتاب الإبريز عن شيخه سيدي عبد العزيز قدس سره العزيز، هو ﷺ لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث فكيف بالغوث فكيف بسيد الأولين والآخرين الذي هو سبب كل شيء انتهى؟!

(*)الثُمام: عشب يسمر إلى مائة وخمسين سنتيمتراً، فروعه مزدحمة متجمعة، ويقولون: هو منك على طرف الثمام: قريب سهل التناول، يقال: الفريق يتشبث بثُمامة: يلتمس أقل شيء للنجاة.

قلت: وأراد بالأقطاب السبعة البدلاء وهم فوق الأبدال السبعين ودون الإمامين الوزيرين. وأيضا فيه ﷺ قال: كيف يخفى أمر الخمس عليه ﷺ والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس. انتهى.

فاسمعوا هذا يا منكرين، ولا تكونوا لأولياء الله مكذبين، فإن تكذيبهم خراب للدين، وسينتقم الله من الجاحدين أعاذنا الله بعباده العارفين. آمين.

وبالجملة لا مرد للقرآن، إنه لكل شيء تفصيل وتبيان، وإنه ما فُرِّطَ فيه شيءٌ من الأكوان، ووجه الجمع بينهما وبين النفي قد ظهر وبان، ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن: ١٣).

مطلب
ثبوت علم الخمس تفصيلاً

رابعاً: أقول: وبحول الله أحُول، يا هذا[١] الذي يدعي أن للخمس خصوصية زائدة في الاختصاص به تعالى من بين سائر الغيوب ماذا تريد بهذا؟

---

(١) الحمد لله كتبت هذا قبل وجود الرسالة المنكرة. وحصلت فيه إشارة إلى الرد على من انسل من موالاتهم واعتل(*) بما قاله الشيخ عبد الوهاب الشعراني في خطبة كتابه «اليواقيت والجواهر»: معاذ الله أن أخالف جمهور المتكلمين واعتقد صحة كلام من خالفهم من بعد أهل الكشف الغير المعصوم. انتهى.

فإنَّ كلامه رحمه الله تعالى في عقائد أهل السنة والجماعة ومعاذ الله أن يخالفها الأولياء وما يظن فيه الخلاف فهو إما مدسوس عليهم كما ذكره الشعراني بعد قوله هذا بأربعة أسطر:

«ولم يصل فهم القاصرين إلى مرادهم» كما أشار إليه في صدر هذا الكلام بقوله: أوصي كل من عجز عن الوصول إلى تعقل الكلام أهل الكشف أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه، قال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ (البقرة: ٢٦٥) إلخ =

(*) أي مَن تعلل واحتج.

أسلب العموم فيهن دون غيرهن أم عموم السلب؟(*)»

= وقال عقب ما نقله هذا المعتل(**) ولذا أقول غالبا عقب كلام أهل الكشف: فليتأمل ويحرر ونحو ذلك إظهاراً للتوقف في فهمه على مصطلح أهل الكلام. انتهى.

وقد أسقط هذه العبارة كلها من حول ما نقل كي يوهم أن الأولياء ربما يخالفون معتقدات أهل السنة، فلا حجة فيهم وحاشاهم عن ذلك، نعم ما ليس من العقائد الظاهرة البينة المبينة بالكتاب والسنة والإجماع وتوسع المتكلمون بالكلام فيه مما اختار جمهورهم قولا وخالفه بعضهم فلا غرو أن يأتي الكشف بما يوافق البعض [ويخالف البعض الآخر](***)، ولكن [مِنْ] حيث أن المكاشف غير معصوم والقلب أسكن إلى قول الأكثرين. فهذا ما يذكره الإمام الشعراني. ألا ترى إلى قوله قبل ما نقل بستة أسطر: «هذا ميزانهم في كل ما لم يرد فيه نص قاطع والنفس تجد القوة في اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل لكشف لقلة سالكي طريقهم» انتهى.

هذا، وأصل مقصودنا هنا أنه لم يفرق بين إثبات الكشف والإثبات بالكشف. وكلام الشعراني في الثاني، وكلامنا في الأول، فإنا نقول إنهم كشف لهم عن كثير من المغيبات الخمس فاخبروا بها عن أنفسهم وعن أكابرهم فها هنا نَفْسُ الكشف مدَّعىً(****) ودليله أخبارهم ورواياتهم، ولا سبيل إلى رده إلا بتكذيبهم في حكايتهم وروايتهم، ولا يصدر هذا من سني يخاف الله تعالى بل الأمر أن إخبارهم بالمغيبات ووقوعها كما أخبروا قد بلغ مبلغ التواتر، يعني وإن وردت الجزئيات بالآحاد فلا ينكره إلا جاحد المتواترات(*****). نسأل الله السلامة. انتهى.

(*) سلب العموم يشمل بعض أفراد العام بينما عموم السلب يشمل جميع أفراده، فقوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٦-٢٧) تفيد سلب علم الغيب عن عموم أفراد كلمة «أحداً» ولا تفيد تعميم سلب العلم ونفيه على جميع أفراد الكلمة، وأفراد الكلمة أي من تنطبق عليهم.

(**) بالأصول: المعتلي، والمعتل اسم فاعل من اعتل أي احتج.

(***) زيادة من عندنا لإيضاح المعنى وكذا ما يليه.

(****) أي أن القضية هنا أن الكشف في حد ذاته موجود.

(*****) أي أن الكرامات وإن وردت بطرق الآحاد فإنه لا ينكرها إلا منكر المتواتر لأن أصل الكرامة يشهد لها المتواتر وهو كلام ربنا العزيز.

فعلى الأول يثبت عموم الإعلام مما وراءهن من أسرار العلام فيكون المعنى أن الله تعالى قد علم أنبياءه أو نبينا خاصة منهم ﷺ وعليهم وسلم جميع الغيوب مما سوى الخمس بحيث لم يبق منها شيء لم يعلم. أما هذه فلم يعلمه جميعها وإن علمه بعضها.

وعلى الثاني يكون الحاصل أن الله سبحانه وتعالى لم يعلم أحداً شيئا من أفراد هذا الخمس أصلا قط، بخلاف سائر الغيوب، فإنه علم منها ما شاء من شاء، الأول باطل قطعا، وإلا لزم إحاطة علمه ﷺ بذات رب الأرباب، وبجميع صفاته بالإدراك التام الذي لا يبقى دونه حجاب، وبجميع سلاسل غير المتناهيات الحاصلة مراراً في غير متناهية في غير متناه كما وصفنا من قبل فإن كل ذلك وراء هذه الخمس، ولا نقول به نحن أهل السنة فكيف وهابية الذين إنما شمروا أذيالهم لتنقيص شأن محمد ﷺ؟ والثاني أيضا من أجل الأباطيل فقد ثبت علم بعض من الخمس لمن شاء الجليل.

مطلب
علم ما في الأرحام

أخرج الخطيب[1] وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: حدثتني(*) أم الفضل قالت(**) مررت بالنبي ﷺ فقال إنك حامل بغلام فإذا

---

(١) قلت وأخرج الطبراني في الكبير وابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ دخل على أم إبراهيم المارية القبطية هي حامل منه بإبراهيم (فذكر الحديث) وفيه أن جبرئيل أتاني فبشرني أن في بطنها مني غلاما وهو أشبه الخلق بي وأمرني أن أسميه إبراهيم وكناني بأبي إبراهيم الحديث قال الإمام السيوطي في الجامع الكبير سنده حسن. انتهى. منه عفى عنه مدنية

(*)بالأصول: حدثني.

(**)بالأصول: قال.

وَلَدْتِهِ فأتيني به. قالت: يا رسول الله! أنَّي لي ذلك وقد تخالفت قريش أن لا يأتوا النساء؟ قال: هو ما أخبرتك قالت فلما ولدتهُ أتيتهُ فأذنَّ في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وألبأه من ريقه وسماه عبد الله، وقال اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس فأتاه فذكر له، فقال هو ما أخبرتها هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي(*).

أقول: فقد علم ﷺ ما في الرحم وعلم ما هو فوق ذلك بكثير، علم ما في صلب ما في الرحم، وعلم ما في صلب من في صلب ما في الرحم، وعلم ما في صلب من في صلب من في صلب ما في الرحم إلى عدة مراتب نازلة لقوله ﷺ: اذهبي بأبي الخلفاء، وقوله منهم السفاح، ومنهم المهدي.

وروي الإمام مالك عالم المدينة عن أم المؤمنين الصديقة رضي الله تعالى عنها قالت إن أبا بكر ﷺ كان نحلها جادًّ(**) عشرين وَسَقاً من ماله بالغابة. فلما حضرته الوفاة قال يا بنية والله ما من الناس أحدٍ أحبَّ إلى غنى بعدي منكِ ولا أعز علي فقراً بعدي منك، وإني كنت نحلتك جادَّ عشرين وسقا فلو كنت جَدَدْتيهِ واحتزتيهِ(***) كان لك وإنما هو اليوم مالُ وارثٍ وإنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله.

(*) الحديث رواه الطبراني (المعجم الكبير/ ١٠٥٨٠) وفي (المعجم الأوسط/ ٩٢٥٠) وقال انفرد به أحمد بن راشد وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال»: رواه أبو بكر أبي داود وجماعة عن أحمد بن راشد، فهو الذي اختلقه بجهل ورواه الهيثم في (مجمع الزوائد/ ٨٩٥٦)، ورواه من غير عبارة «اذهب بأبي الخلفاء...إلخ» (١٥٥١٤) وحسنه.

هذا وإن تشددنا فلم نحتج به ففي حديث ميلاد سيدنا إبراهيم ابنه ﷺ، ثم في أثر سيدنا أبي بكر الصديق كفاء وشفاء، وفي سير الأولياء منه الكثير.

(**) في (ب) جداد وهو الصحيح والجاد والجداد بمعنى واحد وهو ما تعطيه النخلة من تمر. والوسق: حمل النخلة.

(***) في الأصول: جددته وأحرزته.

فقالت: يا أبت! والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية(*).

ولابن سعد في الطبقات، قال ﷺ ذات بطن ابنة خارجة، قد ألقي في روعي أنها جارية فاستوصى بها خيرا، فولدت أم كلثوم.

وقد صح وثبت في أحاديث كثيرة أن بالرحم ملكا موكلاً يصور الولد ذكراً وأنثى وحسناً وقبيحاً، ويكتب أجله ورزقه وشقي أم سعيد؟ فهو يعلم ما في الرحم ويعلم ما يجري عليه.

مطلب
علم ما يكسب غداً

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ في حديث خيبر قوله ﷺ: «لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»(**) فأعطاها علياً كرم الله تعالى وجهه.

فقد ساق مساق القسم مؤكدا باللام والنون(1) فقد علم جزما ما يكسب غدا.

---

(1) وهذا الباب أوسع الأبواب، فكل ما أخبر به النبي ﷺ من الملاحم والفتن ونزول سيدنا المسيح وظهور سيدنا المهدي وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج ودابة الأرض وغير ذلك مما لا يحصى كله من هذا الباب. قال الإمام العيني في الإيمان في شرح صحيح البخاري إذا انتفى ذلك عن كل نفس مع كونه مختصا بها ولم يقع منه على علم، كان عدم اطلاعه على علم غير ذلك من باب الأولى. انتهى. =

(*) الموطأ/ ١٢٤٢. وبنت خارجة هي حبيبة بنت خارجة ولدت له أم كلثوم رضي الله عنهم جميعاً.

(**) رواه البخاري في الصحيح (كتاب المغازي/ ٣٨٨٨) ومسلم (فضائل الصحابة/ ٤٤٢٢) وأحمد في مسنده (٢١٧٥٥).

وقد كان ﷺ يعلم أن وفاته بالمدينة، وقال للأنصار الكرام رضي الله تعالى عنهم: المحيا محياكم والممات مماتكم. رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ(*).

وقال لمعاذ بن جبل ﷺ لما بعثه إلى اليمن، يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري. رواه الإمام أحمد في مسنده(**).

وفي صحيح مسلم عن أنس ﷺ ندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدراً. فقال رسول الله ﷺ: هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا. قال: فما ماط أي مازال وما تجاوز أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ(***).

وفي حديثه عن أمير المؤمنين عمر ﷺ:«والذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حدها رسول الله ﷺ». رواه مسلم.

= وقال الإمام النسفي في المدارك: المعنى أنها لا تعرف وإن علمت حبلها ما يختص بها ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته. فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتها كان معرفة ماعداهما أبعد. انتهى.

أقول وحسبك أن النبي ﷺ عبر عن هذا الغيب مكان قوله عز وجل:﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ (لقمان: ٣٤) بقوله ﷺ: لا يعلم أحد ما يكون في غدكما في استسقاء البخاري أو قوله لا يعلم ما في غد إلا الله كما في تفسير لقمان منه منه حفظه ربه مدنية

(*) مسلم (كتاب الجهاد والسير/ ٣٣٣٢) وهو بلفظ «فالمحيا محياكم» ورواه أحمد في المسند (١٠٥٣٦).

(**) المسند (٢١٠٤٠) وفيه «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا» صدق سيدنا رسول الله ﷺ. وفي كتاب ربنا العزيز﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ (الليل: ١٧) أجمع المفسرون على أنه سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، فهو أولى الأمة بالنبي ﷺ، وهو أفضل الأمة بلا استثناء إن شاء الله تعالى.

(***) رواه مسلم (كتاب الجهاد والسير/ ٣٣٣٠) والنسائي (كتاب الجنائز/ ٢٠٤٧) وأبو داود (٢٣٠٦) وأحمد في المسند (١٧٧).

وهذا سيدنا علي كرم الله تعالى وجهه لما أتت الليلة التي استشهد في صبيحتها جعل يكثر من الخروج من البيت والنظر إلى السماء، وجعل يقول: والله ما كذبت وما كذبت وإنها الليلة التي وعدت وأقبل عليه الإوز يصحن في وجهه فطردوهن فقال دعوهن فإنهن نوائح(*).

والأقرع[1] بن شفي رجل من أصحاب النبي ﷺ كان يعلم يقينا أنه بأي أرض يموت(**).

---

(١) وقال الإمام الجليل الجلال الدين السيوطي في الخصائص الكبرى، باب اختصاصه ﷺ بذكر أصحابه في الكتب السابقة ما نصه: أخرج ابن راهويه في مسنده بحديث حسن عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري قال كان عبد الله بن سلام قبل أن يأتي أهل مصر يدخل على رؤوس قريش فيقول لهم لا تقتلوه [أي أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان ﷺ](***) فوالله ليموتن إلى أربعين يوما فأبوا. فخرج لهم بعد أيام فقال لهم، لا تقتلوه فوالله ليموتن إلى خمسة عشر ليلة.

وقد قدمنا أن المذكور من هذا الباب، في كلام الأصحاب، عن الأولياء الأحباب، - نفعنا الله بهم في الدارين - بحر لا يدري قعره، ولا ينزف غمره، ولكن أذكر لك حديثا واحداً يقوم مقام عدة أحاديث، يخترق به كل صدر منكر ويحترق به كل قلب خبيث:

قال الإمام الأجل، العارف الأجل، الولي الأكمل شيخ القراء وعمدة العلماء، وزبدة العرفاء سيدنا الإمام أبو الحسن على بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي المصري - الذي قد تتلمذ عليه الإمام الأجل أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الجزري صاحب الحصن الحصين وقد حضر مجلسه إمام فن الرجال الشمس الذهبي صاحب ميزان =

(*) ذكر ابن الأثير في أسد الغابة جـ٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٤٢ (٥٥٥) بلفظ «ذورهن» وهو في فضائل الصحابة جـ٢ برقم ٩٤٤، وفي كنز العمال جـ١٢ برقم ٣٦٥٨٤ وانظر ما بعده.

وفيه رواية أخرى عن عثمان بن المغيرة، قال: لما دخل رمضان كان علي يتعشى ليلة عند الحسن والحسين وابن عباس لا يزيد على ثلاث لقم يقول: يأتيني أمر الله وأنا خميص. وإنما هي ليلة أو ليلتان، فأصيب من آخر الليل.

(**) هو مما أورده صاحب نهج البلاغة (جـ٩).

(***) الزيادة من (أ).

= الاعتدال وذكره في طبقات القراء ومدحه، وقد وصفه الإمام الأجل العارف بالله عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي ﷺ في «مرآة الجنان» بالإمام وبألقاب جليلة عظيمة الإعظام ووصفه الإمام الجليل الجلال السيوطي في حسن المحاضرة بالإمام الأوحد - في كتابه المستطاب اللامع الأنوار، الجامع الأسرار، الحرى أن يكتب على الخناجر(*)، ولو بالحناجر، أعني «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار» التي قال فيها الشيخ عمر بن عبد الوهاب الفرضي الحلبي قد تتبعتها فلم أجد فيها نقلا إلا وله فيه متابعون وغالب ما أورده فيها نقله اليافعي في «أسنى المفاخر» وفي «نشر المحاسن» و«روض الرياحين» وشمس الدين بن الزكي الحلبي أيضا في «كتاب الأشراف». انتهى. كما نقله في كشف الظنون.

قال الشيخ المحقق عبد الحق المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى في زبدة الآثار: إن كتاب بهجة الأسرار كتاب عظيم وشريف مشهور است ومصنف آن از علماء قراءت مشهور ومعروف، واحوال شريف وى در كتب مذكور، و مسطور ذهبي كه از أعاظم وأكابر علماء اهل حديث است، و او را محك الرجال كويند «در طبقات المقربين» در تعريف مصنف مي نويسد علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي الإمام الأوحد المقري، نور الدين شيخ القراء بديار المصرية أبو الحسن مولو وي بقاهرة سنة أربع وأربعين وستمائة رسيدم در مجلس اقراء وى بس خوش آمده است وى وسكوت وى اين عبارت ذهبي است، وكفته است شيخ محمد بن ابن محمد بن محمد الجزري كه از أعاظم علماي قرأت وحديث وصاحب حصن حصين ست در تذكرة كه در أحوال قراء نوشته مانند كلام ذهبي وكفته است كه من خواندم اين كتاب وى بهجة الأسرار بمصر بر شيخ عبد القادر الدشطوطي كه بود وى از أجله مشايخ مصر واجازت دادا مرا ... انتهى... مختصرا

ترجمته: هذا الكتاب بهجة الأسرار كتاب عظيم شريف مشهور ومصنفه من علماء القراءة معروف مشهور، ذكره الشريف في الكتب مذكور مسطور

قال الذهبي الذي [هو] من أعاظم علماء الحديث وأكابرهم ويسمى «محك الرجال» في كتابه «طبقات المقرئين» في مدح مصنف «بهجة الأسرار» علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي الأمام الأوحد المقرئ قال نور الدين شيخ القراء بالديار المصرية، أبو الحسن مصنف الحصن الحصين في تذكرة القراء مثل كلام الذهبي وقال قرأت كتابه بهجة الأسرار بمصر على الشيخ عبد القادر الدشطوطي وكان من أجلة مشايخ مصر وأجازني به إلى آخره. =

(*) في الأصول: الحناجر، ولا مفهوم له.

= وقال أعني الشيخ عبد الحق في زبدة الآثار: «بهجة الأسرار» من تصنيف الشيخ الإمام الأجل الفقيه العام المقرىء الأوحد البارع نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف الشافعي اللخمي و بينه وبين الشيخ يعني سيدنا الغوث الأعظم ﷺ واسطتان، وهو داخل في بشارة قوله ﷺ طوبى لمن رآني ولمن رأى لمن رآني. انتهى.

قلت: فإنه رحمه الله تعالى عليه تلمذ على القاضي الإمام الأجل أبي صالح نصر هبه الله وهو تلمذ على أبيه أوحد الحفاظ وسند الأئمة والعرفاء تاج الملة والدين أبي بكر عبد الرزاق تلمذ على أبيه قطب الورى غوث الثقلين شيخ الإنس والجن والملائكة ولي الأولياء محي الدين سيدنا السيد الشيخ عبد القادر الحسنى الحسيني الجيلاني ﷺ وعنهم وأفاض علينا في الدارين من بركاته وبركاتهم. آمين. انتهى بألقاب جليلة عظيمة. كما قال فيها: رَوَى الشيخ الإمام الفقيه العالم المقري علي بن يوسف بن جرير بن معصار الشافعي اللخمي في مناقب الشيخ عبد القادر ﷺ بسنده من خمس طرق. انتهى.

أقول إنما ذكرت هذه إعانة للقاصر نظراً وإلا فالشمس لا تحتاج للتعريف في ذكر سيدي العارف الإمام الجليل مكارم النهر خالصي قدس سره الذي هو من أجل خلفاء سيدي علي بن الهيتي نفعنا الله تعالى ببركاته، وقد تشرف أيضا برؤية ولي الأولياء سيدنا الغوث الأعظم ﷺ، وكان يقول ما رأت عيناي مثل الشيخ محي الدين عبد القادر رضى الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ما نصه:

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح داود بن أبي المعالي نصر بن الشيخ أبي الحسن على بن الشيخ أبي المجد المبارك بن أحمد البغدادي الحريمي الحنبلي، قال أخبرنا والدي قال سمعت جدي أبا المجد - رحمه الله تعالى - يقول: كنت يوما عند الشيخ مكارم ﷺ بداره على «نهر الخالص» فخطر في نفسي لو رأيت شيئا من كراماته فألتفت إلى مبتسما وقال سيدخل علينا خمس نفر أحدهم عجمي أبيض اللون أحمر بِخَدِّهِ الأيمن شامة بقي من عمرة تسعة أشهر، ثم يفترسه أسد في البطائح ومن ثم يبعثه الله تعالى، والآخر عراقي أبيض أشقر بعينيه حور وبرجله عرج يمرض عندنا شهراً ثم يموت، والآخر مصري أسمر في كفه الأيسر سِتُّ أصابع وبفخذه الأيسر طعنة رمح أصيب بها منذ ثلاثين سنة يموت بأرض الهند تاجراً بعد عشرين سنة، والآخر شامي أدمي اللون شَثْنُ الأصابع(*) يموت بأرض الحريم على باب دارك بعد سبعين سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام. =

(*) الشَّثْنُ من الرجال: كالشثل، وهوالغليظ، وقد شَثُنَتْ كفه وقدمه شثناً وشُثُونة وهي شَثْنَةٌ، وفي صفته ﷺ: شَثْنُ الكفين والقدمين، أي أنهما تميلان إلى الغِلَظِ والقصر. لسان العرب: ٢١٩٥ ط/ دار المعارف.

= والآخر من أرض اليمن أبيض اللون هو نصراني وتحت ثيابه زُنَّار(*) خرج من بلاده منذ ثلاث سنين ولم يعلم به أحد ليمتحن المسلمين مَنْ يكشف منهم حاله، واشتهى العجمي لحما مشويا، وقد اشتهى العراقي إوزة بأرز، واشتهى المصري عسلا بسمن، واشتهى الشامي تفاحا من فاكهة الشام، واشتهى اليمني بيضا مسلوقا. ولم يعلم أحد بشهوة الأخر، وستأتينا أرزاقهم وشهواتهم رغَداً من كلٍ كان والحمد لله رب العالمين.

قال أبو المجد رحمه الله تعالى فوالله لم نلبث إلا يسيراً حتى دخلوا خمسة كما وصف الشيخ ﷺ لم يُخلِّ من أوصافهم بشيء فسألت المصري عن طعنة فخذه فتعجب من سؤالي، فقال: هذه طعنة أصبت بها منذ ثلاثين سنة، ثم جاء رجل ومعه تلك الأصناف التي اشتهوها فوضعها بين يدي الشيخ ﷺ فأمره فوضع بين يدي كل واحد منهم شهوته وقال لهم كلوا ما اشتهيتم فأغمى عليهم. فلما أفاقوا قال اليمني للشيخ يا سيدي! ما وصف الرجل المطلع على أسرار الخلق؟ قال أن [لا](**) يعلم أنك نصراني وتحت ثيابك زنار. فصرخ الرجل وقام إلى الشيخ وأسلم. فقال له: يا بني كل من رآك من المشايخ فقد عرف حالك ولكن عرفوا عن إسلامك على يدي فامسكوا عن كلامك.

قال ولقد جرت الحال في وفاتهم كما أخبر الشيخ ﷺ في الوقت الذي ذكره والمكان الذي عينه من غير تقديم ولا تأخير، ومات العراقي عند الشيخ في الزاوية بعد أن مرض شهراً وكنت ممن صلى عليه. ومات الشامي عندنا بالحريم على باب داري طريحاً(***) ونودي له، فخرجت فإذا هو صاحبنا الشامي وبين موته وبين الوقت الذي اجتمعت به عند الشيخ ﷺ سبع سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام رحمه الله تعالى. انتهى.

فانظر إلى هذا الذي هو خادم مِن خَدَمِ خُدام محمد رسول الله ﷺ قد أخبر في نفس واحدة باثنين وسبعين غيباً، فيها ما في الصدور وأمكنة الموت وأزمنة الموت وأسباب الموت وما يُكْسَبُ غداً إلى غير ذلك. وإن شككت فيما ذكرت من العدد فعد وعُدَّ الاطلاعَ على خطرة أبي المجد، والأخبار بأنه سيدخل علينا نفر وأنهم خمسة وإن أحدهم بالعجمي والثاني عراقي والثالث مصري والرابع شامي والخامس يماني فهذه ثمانية غيوب. =

(*) الزُنَّار والزنارة ما على وسط المجوسي والنصراني، وفي التهذيب: ما يلبسه الذمي يشده على وسطه.

(**) وردت لفظة (لا) في (ب) فوق الكلام وكأنها استدراك فات الناسخ، والأقرب للمعنى حذفها إلا إذا كان مراد الشيخ التعريض الذي هو كالتصريح، مباسطة للسامع.

(***) بالأصول: طريح.

أخرج عنه ابن السكن وابن منده وابن عساكر قال:«دخل النبي ﷺ في مرض يعودني فقلت: لا أحسب إلا أني ميت من مرضي. قال كلا لتبقين ولتهاجرن إلى أرض الشام وتموت وتدفن بالربوة من أرض فلسطين. مات في خلافة عمر ﷺ ودفن بالرملة».

= ثم المتعلق بالعجمي أحد عشر غيباً: أنه أبيض وبياضه مشرب بحمرة، وله شامة وهي على خده وذلك الخد أيمن وقد اشتهى لحما، وشهوته في الشواء دون الطبخ والقديد، ويموت بعد تسعة أشهر، وموته بافتراس الأسد، وذلك بالبطائح، وهنالك يدفن ولا ينقل ويبعث من ثمة(*).

وكذلك المتعلق بالعراقي أحد عشر غيبا: أنه أبيض، وفيه شقْرة، وبعينه حور وبرجله عرج، وقد اشتهى إوزة، وأن يأكلها بأرز ويمرض عند الشيخ، ويمتد مرضه شهراً، وبه يموت والموت هنا، وهو بعد شهر.

والمتعلق بالمصري خمسة عشر غيبا: أنه أسمر، وذو ستة أصابع، وذلك في كفه اليسرى، وقد طعن برمح، وذلك في فخذه، وهو يسرى، وقد أصابتها قديما، وذلك ثلاثون سنة، قد اشتهى عسلا، لكن لا مَرَقاً، بل ممزوجاً بسمن، ويكتسب بالتجارة، ويَتَّجِرُ بالهند، ولا يزال يتجر إلى آخر عمره ويموت بالهند، وذلك بعد عشرين سنة.

والمتعلق بالشامي تسعة غيوب: أنه أسمر اللون مع أن الغالب على الشوام البياض. وهو شثن الأصابع غليظها وقد اشتهى تفاحاً وإنما يُشتهَى من بلاده ويموت بأرض الحريم، وذلك على باب دار أبي المجد، وقد بقي من عمره من السنين سبع ومن الشهور ثلاثة، ومن الأيام سبعة. والمتعلق باليمنى ثمانية غيوب: أنه أبيض اللون وأن اليمانية سمر، وهو نصراني، وتحت ثيابه زنار، وقد خرج من بلاده لامتحان المسلمين ومدة خروجه ثلاث سنين ولم يخبر أحداً بما نوى لا أهل بيته ولا أهل بلدته وقد اشتهى بيضا وأن تكون مسلوقة. فهذه اثنان وستون غيبا. وخمسة: أن أحدهم لم يطلع على شهوة غيره، وخمسةٌ: أن شهوة كل منهم ستأتينا من الغيب، فتمت اثنين وسبعين غيبا. فسبحان الذي أعطى ما شاء من شاء من عباده وله الحمد. انتهى. منه حفظه ربه مدنية

(*) أي من ذلك المكان.

وهذا[1] نبي الله الصديق عليه الصلاة والسلام قائلا لأهل مصر: ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ (يوسف: ٤٧) قال: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ (يوسف: ٤٨)، قال: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ ﴾ (يوسف: ٤٩)

فقد علم أن المطر يأتيهم سبعة أعوام على حين ثم لا يمطرون سبع سنين ثم في عام الخامس عشر يمطرون، وينبت العنب فيعصرون.

مالي أعد الجزيئات ولا حصر لها؟! وقد ثبت علم جميع الخمس سوى[2] الساعة على خلاف فيها بثبوت لا ريب فيه عند أهل النُّهَى فإن كل ذلك مُثْبَتٌ في اللوح المحفوظ قطعا.

---

(١) وقال الإمام السيوطي في الخصائص الكبرى، باب إخباره ﷺ عن السحابة التي مطرت باليمن:

أخرج البيهقي عن ابن عباس قال: أصابتنا سحابة، فخرج علينا النبي ﷺ فقال: إن ملكا موكلا بالسحاب دخل على آنفا. فسلم علي. وأخبرني أنه يسوق السحاب إلى واد باليمن يقال له صريح فجاءنا راكب بعد ذلك، فسألناه عن السحابة فأخبر أنهم مطروا في ذلك اليوم(*). قال البيهقي: وله شاهد مرسل عن بكر بن عبد الله المزني أن النبي ﷺ أخبرنا عن مالك السحاب أنه يجيء من بلد كذا، وأنهم مطروا يوم كذا، وأنه ﷺ سأله عليه السلام متى تمطر بلدنا؟ فقال: يوم كذا، وعنده ناس من المنافقين فحفظوه ثم سألوا عن ذلك. فوجدوا تصديقه فأمنوا وذكر ذلك للنبي ﷺ. فقال لهم زادكم الله تعالى إيماناً. انتهى.

قوله مالك السحاب؟ أقول: هكذا في نسختَيّ الخصائص بألف بعد الميم، وهي بحمد الله تعالى نسخة قديمة كتب في آخرها كان الفراغ من كتابة النسخة المباركة يوم السبت المبارك، سابع عشر شهر شعبان المبارك من شهور سنة اثنتين وثلاثين وألف. انتهى. قد مضت على كتابتها ثلاثمائة سنين وانتقصت تسعا. انتهى. منه حفظه ربه مدنية

(٢) اللهم لك الحمد من يرزق اتباعَ الحق والانصاف والتجنب عن الجزاف والاعتساف =

(*) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (جماع أبواب أسئلة اليهود وغيرهم/ ٢٥٧٠) وفيه عامر بن إبراهيم وحفص بن عمر. قال البيهقي لا أعرفهما ثم روى شاهد بكر بن عبد الله المزني الذي ذكره المؤلف وقال: وهذا المرسل يؤكد هذا الموصول (جـ٧ ص٨١).

= يكون أسير يد البرهان يسير حيث يسير ويقف حيث يقف، أرشدنا القرآن الكريم أنه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء لنبيه محمد ﷺ. والشيء هو الموجود، وإطلاق الموجود على ما كان وبان وما هو بعرضةٍ أن يكون مجازا، والمجاز لا يصار إليه إلا بدليل. فلولا أن الله سبحانه وتعالى أثبتفي اللوح المحفوظ كل ما كان وما يكون، وهذه المثبتات في اللوح موجودة فيه قطعا عند نزول الآيات الكريمة، لما دلت الآيات إلا على علم جميع الأشياء الموجودة في العالم عند نزولها دون ما وجد وعدم وما لم يوجد بعد، لعدم تناول لفظ الشيء له حقيقة، لكن ذلك الإثبات أتى بحمد الله تعالى بإثبات علم جميع ما كان وما يكون مما أُثبت في اللوح لكونه به من الأشياء الموجودة في العالم عند نزول الآيات كسائر النقوش المرسومة في كتاب موجود.

ومعلوم قطعا أن اللوح لم يتناول كلَّ آت إلى الأبد، لأن المتناهي لا يصح أن يحيط بغير المتناهي. وإنما أثبت فيه ما كان من أول يوم ويكون إلى قيام الساعة، ولم يقم عندي إلى الساعة دليل قاطع على أن هذه الغاية داخلة في المغيا أم خارجه؟ فإن كان الواقع أن تعين وقت الساعة مثبت في اللوح فقد علمه نبينا ﷺ قطعا لتناول الآيات له إذن، وإن كان الواقع أنه تعالى لم يثبته فيه لم تدل الآيات عليه واحْتُمِلَ الأمران، للعلم قطعا بأن علمه ﷺ لا يحصر فيما أثبت في اللوح وإنما هو نهر بل موج من بحار علومه ﷺ كما تقدم. وعن هذا تراني قلت «سوى الساعة على خلاف فيها» نعم كما لم أجزم بالعلم، لا أجزم بالنفي كهؤلاء.

وإنما أقول كما سأنقل من العلامة التفتازاني في شرح المقاصد، إنه لا يبعد أن يطلع عليه بعض الرسل. هذا فيما سبيله الجزم. أما الظن فترى عن الإمام القسطلاني ما يفيد أن الله تعالى أطلع عليه رسله والأولياء يأخذون عنهم. وتقدم الجزم بتعليم الخمس لنبينا ﷺ. عن العلامة البيجوري وعن العلامة الشنواني عن السيد الأجل عبد العزيز وسيأتي التصريح بأنه الحق في علم الساعة عن العلامة المدابغي وعن الفاضل العارف العشماوي، وسأقيم الدليل القاطع على أن المولى تعالى يُعْلِمُه ملائكة النفخ قبل وقوعها، وأذكر دليلاً أخر عليه عن الإمام الرازي.

وقد تقدم أن كل علم لكل أحد من خلق الله تعالى إنما يحصل له بإمداد محمد ﷺ وممد العلم يجب عليه أن يعلم قبل من يلقِي عليه. فثبت حصول العلم به قبل قيامها له ﷺ. وإذ لم تناف الآياتُ هذا القدرَ من التقدم لم تناف ما فوقه أيضا، إذ لا فرق، وقد رجعت دلالتها إلى أنها لا تُعْلَمُ إلا بإعلامه تعالى فإذن ينقدح في الذهن القول ظناً بأنه ﷺ علمها وأمر بكتمها. فقد أتى عن العلماء القولان، لم يجزم أئمة أجلة على هذا بالبطلان، بل عقد له الإمام الجليل السيوطي فصلا في الخصائص الكبرى. فقال:

فصل: ذهب بعضهم إلى أنه ﷺ أوتى علم الخمس أيضا. وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك. انتهى.

[وساقهما السيد العلامة محمد بن السيد العلامة عبد الرسول البرزنجي المدني رحمهما الله تعالى في كتابه «الإشاعة لأشراط الساعة» على حد سواء. فقال لما كان أمر الساعة شديدا وقد استأثر بعلمها ولم يعلمها أحدا من خلقه وعلمها النبي ﷺ ونهاه عن الإخبار تهويلا لشأنها وتعظيما لأمرها إلخ.

هكذا في النسخة المطبوعة «وعلمها النبي ﷺ» بالواو. فإن كانت الواو بمعناها وتكون الجملة جارية مجرى الاستثناء فقد اختار السيد العلامة أن الله تعالى علَّمها محمد ﷺ وارتضى هذا القول. وإن كانت بمعنى أو وسقطت الألف من الناسخ](*) فقد حكى القولين على حد سواء، ولم يجزم مثل الرسالة المفتراة ببطلانه ولا جعله مثله «قول الغلاة» كما فيها في ص٢٨ وغيره، ولا مجاهرة بالكذب كما فيها ص٢٨ قولاً مخالفا للحق والصواب الذي ليس فيه شك ولا ارتياب كما فيها ص٣١، وعليه تمام الرسالة المفتراة.

وهذا أيضا من أمارات أنها مفتراه أو محرفة بأيدي الوهابية الغلاة، وإلا لم يرض بنسبه جده العلامة إلى هذه العظائم أعني كونه - أجاره الله تعالى - من «الغلاة» ومن «المجاهرين بالكذب في الدين»، ومن مخالفي ما ثبت قطعا في الدين المبين أو شريك من من هو كذا، لأن لا من نقل قول الغلاة الكذابين المكذبين للقطعيات مع قول العادلين الصادقين المصدقين على حد سواء، فقد جوز كل ذلك وجعله أحد السالفين وخَيَّرِ المتلقي من كتابه أن يختار أيهما شاء، كما هو شأن قولين ينقلان بلا ترجيح لأحد الجانبين. إذا ظهر لك هذا فلك أن تقول المثبت مقدم على النافي، وأياً ما كان ظهر الجواب عن كل ما أوردت الرسالة

الجواب عن كل ما أوردت الرسالة في الساعة كالآيات ص٤ وحديث مسلم ص١٨ أنه ﷺ قال لما سئل في الساعة قبل وفاته بشهر ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ (الأعراف: ١٨٧) وقول ابن كثير ص٢٠ وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب وقول إسماعيل حقي ص٢٣ منه ما استأثر نفسه إلى قوله منه علم الساعة وما نقل ص٢٨ من شقشقة شقية ودندنة دنية عازيا بها إلى القاري من السيوطي، وهذه رسالة (الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف)(**) وهو فرية على=

(*) ساقط من (ب).

(**) في (أ): مجاورة.

وقد علم اطلاع كثير من الملائكة والأولياء عليه فضلا عـن الأنبيـاء علـيهم الصلاة والسلام علما لا ينكره إلا محروم، بل قد وصف الله تعـالى اللـوح في كتابـه الكريم بوصف المبين، والمبين هو الذي يوضح ويبين، فإن كان اللـوح مغيبـا عـن أبصار الخلق جميعا، فما يبين ولمن يبين.

قال تعالى:﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢) قال البيضاوي يعنـي اللوح المحفوظ

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (النمل: ٧٥)

قال الإمام البغوي في معالم التنزيل:أي في اللوح المحفوظ.

وقال الإمام النسفي في مدارك التنزيل: المبين: الظاهر المبين لمن ينظر فيه مـن الملائكة. وقال علي القاري في المرقاة: حكمة ذلك - أي إثبـات الكـوائن كلهـا في اللوح - اطلاع الملائكة على ما سيقع ليزدادوا بوقوعه إيماناً وتصديقاً ويعلموا من يستحق المدح والذم، فيعرفون لكل مرتبته. انتهى.

وقد ذكر الشاه عبد العزيز في تفسير فتح العزيز أن المـراد مـن الاطـلاع عـلى اللوح المحفـوظ الاطـلاع عـلى الموجـودات الـنفس الأمريـة(*) قبـل ظهورهـا في

= الإمام الجليل الجلال السيوطي، وهذه رسالة (الكشف) حاضرة [ليس](**) فيها لِمَا أُثِـرَ أَثَـرٌ(***) وفرية على القاري فإنه لم ينقله عن الإمام السيوطي. إنـما لم يلخـص مـا نقلـه عنـه إلى قولـه «لا يتجاوز عن الخمسمائة بعد الألف» ثم قال أعني القاري قال: وقد جاهر بالكذب إلخ والـضمير فيه لابن القيم.

(*) من قولك: في نفس الأمر أي في حقيقتـه، والمقـصود الاطـلاع عـلى هـذه الموجـودات المثبتـة في اللـوح المحفوظ قبل تحقق وجودها الكوني.

(**) ما بين المعقوفتين سقط من (ب).

(***) عبارة مضطربة بالأصلين والمثبت من اجتهادنا.

الخارج، سواء كان بمطالعة النقوش أو بدونها، وهذا يحصل لأولياء الله تعالى أيضا. قال: والاطلاع على اللوح المحفوظ بمطالعة النقوش أيضا منقول عن بعض أولياء الله تعالى بالتواتر. انتهى. مترجما.

وأخرجت الأئمة كالشطنوفي وغيره بسند صحيح عن ابن رسول الله(*) ﷺ غوث الثقلين وغياث الكونين، سيدنا الغوث الأعظم أبي محمد عبد القادر الحسنى والحسيني الجيلاني، ﷺ وأرضاه عنا وأفاض علينا في الدارين من نوره الرباني، إنه ﷺ كان يقول عيني في اللوح المحفوظ.

أقول: وهذا ربنا تبارك وتعالى يقول في الليلة المباركة، ليلة البراءة، ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾(الدخان: ٤) فثبت بشهادة الله تعالى أن مدبرات الأمر(**) يأتيها الإعلام الإلهي بجميع أفراد الأربع من الخمس، أعني ما سوى الساعة قبل وقتها.

أقول: وكذلك يجب أن يعلم سيدنا إسرافيل عليه الصلاة والسلام بالتبجيل وقتَ الساعة عينا قبل وقوعها ولو لحظة، وذلك يوم يؤمر بالنفخ فيرخي جناحه الآخر. وقد أرخى أحدهما حين ولد رسولُ الساعةِ ﷺ(***) فالتقم الملك التابع الصور، وقوله ﷺ كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنا

(*) مثل قوله ﷺ في سيدنا الحسن بن علي رضوان الله عليهما – خامس الراشدين كما يثبته شيخنا الدكتور جودة المهدي – «إن ابني هذا سيد»، ومعلوم أنه ليس ابنه حقيقة وعليه فقد يطلق «الابن» على الحفيد، وسيدنا الجيلاني حسني النسب، فجاز أن يقال له «ابن رسول الله ﷺ» من هذا الوجه، هذا فضلاً عن أبوة النبي ﷺ الروحية له ولأكابر الأولياء رضي الله عنهم.

(**) المقصود :الملائكة عليهم السلام، من قوله تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ (النازعات: ٥).

(***) إشارة إلى قوله ﷺ:«بعثت والساعة كهاتين». رواه البخاري في الصحيح (كتاب تفسير القرآن/ ٤٥٥٥).

جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ[1] رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ. والملك جاثٍ على ركبتيه ناظر إلى جناح إسرافيل المبسوط بعد، فإذا أرخى نَفَخَ، فبين الإذن وقيام الساعة، إرخاؤه الجناح وهو حركة، والحركة زمانية، فلابد من تقدم العلم ولو لمحة، فإذا[2] وجب هذا الملك مقرب، فما المحيل أن يعلمه الحبيب الأعظم ﷺ قبل وقوعه بألفي سنة مثلا ويؤمر أن لا يخبر؟!

لا جرم قال العلامة في شرح المقاصد جوابا عن تمسك المعتزلة في نفي الكرامة بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه الآية ما نصه الغيب هاهنا ليس للعموم بل مطلق أو معين هو وقت وقوع القيامة بقرينة السياق، ولا يبعد أن يطلع عليه بعض الرسل من الملائكة أو البشر. انتهى.

---

(١) تمامه فينفخ قالوا كيف نصنع قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل (رواه الإمام أحمد والترمذي) وابن حبان والحاكم (عن أبي سعيد الخدري) وأحمد و الحاكم عن ابن عباس وأحمد والطبراني في الكبير عن زيد بن أرقم وأبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة، وأبو نعيم في الحلية عن جابر والضياء في المختارة عن أنس رضي الله تعالى عنهم.

(٢) هذا الدليل المنير مما استنبطته(*) بفكري وقت هذا التحرير، ثم رأيت بعد أيام ما قال في التفسير الكبير تحت قوله تعالى:﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الجن: ٢٦). ونصه بتلخيص، أي وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله، فإن قيل فإذا حملتم ذلك على القيامة فكيف قال:﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن: ٢٧) مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله. قلنا بل يظهره عند قرب القيامة كيف لا؟ وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ (الفرقان: ٢٥) ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت قيام الساعة. انتهى.

أقول: ولعل استنباطي أحكم، ثم يكفينا في الاحتجاج قوله. «قلنا: بل يظهره» والله تعالى أعلم. انتهى. منه حفظه ربه مكية

(*) في الأصلين: استنبطه، والمثبت أقرب للصواب، بدليل عطفه بكلمة «رأيت».

أي فيصح الاستثناء فإذن إنما ينتفي عن الأولياء علم وقت الساعة. ويثبت هذا أيضا لمن ارتضى من رسول بدليل الاستثناء، بل قال الإمام القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري(1) ولا يعلم متى تقوم الساعة أحد إلا الله، إلا من ارتضى من رسول فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه. والولي تابع له يأخذ عنه. انتهى. بل ذكره(2) الشاه ولي الله الدهلوي والد الشاه عبد العزيز في «التفهيمات الإلهية» عن حال نفسه(3) أنه أعلم بتعيين وقت الساعة وانشقاق السماء في بعض وارادته ثم لما أفاق لم يضبطه، وصار كرؤيا رؤيت ونسيت.

فإذا كان هذا لأمثال هؤلاء، فيا سبحان رب المصطفى من قدر المصطفى وعلم المصطفى ﷺ!

---

(1) ثم العجب كل العجب ممن لا يفرق بين العلم بالشيء بعد وقوعه والعلم به قبله ولو بزمان قليل. فإن الأول علم بالشهادة، والثاني من علم الغيب، والغيب لا يغير الشهادة بقرب الوقوع والتجوز بأن ما قرب من الشيء يعطي حكمه لا يغير الحقائق حتى يجعل الغيب شهادة أو المعدوم موجودا وأمثال هذه الخطابيات لا تسمع في باب خصائص الألوهية. ولذا لم يلتفت إليه الإمام الرازي كما سمعت فتثبت ولا تصنع إلى أمثال تلك الأباطيل. انتهى. منه مدنية

(2) قلت قوله بل ذكره الشاه إلخ، رأيت في الكلام العارف الكبير والولي الشهير سيدي عبد السلام الأسمر أفاض الله علينا فيضه الأنور ورضي عنه وعنا به آمين، التصريح بأن الله تعالى أطلعه على قيامة الساعة قرناً وسنة وشهراً وساعةً، ذكره في معرض الامتنان. وما ذلك على الله بعزيز. انتهى. كتبه الفقير حمدان الجزائري مدنية حمدانية.

هذا أواخر الحواشي التي زين بها طَرّةَ كتابي بل بيض بها غرة جوابي علامة المغرب حضرة مولانا حمدان حَمّدَ مساعيه المنانُ آمين والحمد لله رب العالمين. انتهى.

(3) عبارت الفيوض هكذا اكر كوئى كه ميدانى بوجدان كه افلاك كى فن خواهند شد كويم آر ميدانم اجمالا ونمى دوانم تفصيلا مثل كسيكه مى بيند خواب وفراموش مى كند آنرابس هركاه بيند تعبير را يا دو ميكند جيزكى كه فراموش كرده والمعنى الإجمالي أن الشيخ ولي الله الدهلوي أطلع على هذه الأمور فيما يشبه الرؤيا ثم نسيه وهذه الرؤيا تكررت للشيخ وكلما تكررت تذكر الأمر ثم ينساه.

في حاشية الفتح المبين للعلامة حسن بن علي المدابغي والفتوحات الألوهية شروح أربعين الإمام النووي في علمه ﷺ بوقت الساعة: الحق كما قال جمع إن الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى أطلعه على كل ما أبهمه عنه إلا أنه أمر بكتم بعض والإعلام ببعض. انتهى.

وكذلك صححه العشماوي في شرح الصلاة الأحمدية.

أقول: وكل ذلك لمعة أنوار قوله عز وجل:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩) كما ألهمنا الله تعالى تقديره فأشرق الحق بنور الكتاب، كشمس تجلت عنها السحاب. وبعد ذلك لا حاجة لنا إلى سرد جزئيات من الخمس أخبر بها الأولياء العظام، على سيدهم وعليهم الصلاة والسلام، فإن ذلك بحر لا يدُرى قعره فيخرج الكلام عن النظام، ومن لم يشفه القرآن فأنى تزولُ عنه السقام، نسأل الله العفو والعافية وعلى الحبيب الصلاة والسلام.

القسم الثاني

الحمد لله ظهر الحق وزهر الصواب، وانجلى عن شمس الهدى كل حجاب، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

ومن نظر في كلام أحقر العبيد نظر متدبر مستفيد أو ألقى السمع وهو شهيد، ظهر له الجواب السديد، عن كل ما يصول به صائل عنيد، ولكن التصريح أجدى وأحرى بالبيان. فلنتكلم على كل سؤال بحياله والله المستعان.

السؤال الأول: عما وقع في آخر النسخة المطبوعة بالهند من رسالة إعلام الأذكياء للفاضل أبي الذكاء سلامة الله سلمه الله بلفظ: وصلى الله على من هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

أقول: الجواب الأول: هذه رسالة أرسلها إليَّ المصنف حفظه الله تعالى للتقريظ، وقلت فيها قرظت عليه وهو بمرأى منكم ما ترجمته:

نعم قول زيد حق وصحيح، وزعم بَكْرٍ مردود وقبيح، فالله تعالى عزت عظمته أعطى حبيبه سيد العالم ﷺ علومَ جميع الأولين والآخرين، وأراه الشرق والغرب والعرش والفرش، وجعله شاهد ملكوت السماوات والأرض. وعلمه ما كان وما يكون من أول يوم إلى يوم القيامة كما فصل دلائله تفصيلا كافيا بقدر الحاجة مولانا الفاضل الكامل المجيب، سلمه المولى القريب المجيب - وإن لم يكن شيء فالقرآن العظيم شاهد عدل، وحكم فصل، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩) إلى آخر ما قررتُ وحررتُ من الدليل، على ذلك المدعي الجليل. فكل من ترعرع عن العامية ولو قليلا يعرف أني ما التزمت في تقريظي هذا إلا أن الدلائل التي ذكرها الفاضل المجيب كافية بقدر الحاجة، فلم يكن إذ ذاك نظري إلى كل لفظ، بل ولا إلى تصوير المُدَّعَى الذي فيه فإني صورتها بعبارتي على حدة.

ومن خدم العلم أو جالس العلماء وله عقل وتمييز فإنه يميز بين ألفاظ المقرظين والمصححين، فإنهم إن قالوا نظرنا تلك الرسالة أو الفتيا من أولها إلى آخرها نظر تدبر وإمعان كما قال الكنكوهي في تقريظ البراهين القاطعة، فقد التزموا صحة جميع ما فيهما، ويصح حينئذ أن ينسب إليهم كل ما تضمنته من المباني والمعاني. وإن قالوا طالعناه من عدة مواضع فوجدنا أنه نافع، فإنما حسنوا موضوع الكتاب. أما طريق البيان وسوق البرهان، واللفظ والبيان، فمسكوت عنه لا إنكار ولا إذعان، ومثله قول مصحح الفتوى «الحكم صحيح» بل ربما يؤمي بطرف خفي إلى شيء غير مرضي في الدليل أو الألفاظ، حيث خص حكم الصحة بالحكم. فإن زاد لفظ «النفس» كان أشد إشعارا بوجود النقص.

وإن أعادوا الدعوى بألفاظهم وقالوا فصل المجيب دلائله، فمدلول كلامهم تسليم الدلائل، ويمكن إن أحبوا في نفس الدعوى تبديل لفظ أو زيادة كلمة أو نقص حرف، حتى ذكروها بعبارات أنفسهم، ويمكن إن أعادوها لزيادة إيضاح وتأكيد وإفصاح فلا يحكم عليهم في دعوى الأصل بقبول ولا اعتراض، وإذا كان هذا في نفس الدعوى فما ظنك بالألفاظ الخارجة الزائدة التي لا تعلق لها بدليل ولا دعوى.

هذا ما تقضيه الصناعة العلمية. وظهر لك منها أني لم ألق بالي حين التقريظ إلى الأمور الزوائد ولا يحضرني الآن ما كان في أصل مسودة إذ ذاك، ولكن رأيت في ترجمته بالعربية للمؤلف بالخط المعروف لدينا في كل ما يأتينا من رسائله ومسائله للتصديق والتحقيق ما نصه: وصلى من هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم على مظهر هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

وهذا لا مثار فيه لوهم الواهم ولا غرو أن تبدلت على كاتب المطبع لفظة «مظهر» بلفظة «من هو» فإنه هو الذي كتب في تقريظي مكان «محمد» لفظة «مجمعون» أنظر آخر ص٢٩ المطبوع خطأ ص٢٦.

فإن كان الأمر هكذا فبها ونعمت(*). وإن فرضنا أن أصل العبارة مثل المطبوع، فأنا أعرف المجيب أنه فاضل سديد الاعتقاد، شديد النكاية على أهل البدع والعناد، وفريضة عين على كل مسلم أن يحمل كلام أخيه على أحسن ما يقدر عليه من محمل وتوجيه، ولا يُحرَمُ ذلك إلا من حُرِمَ سلامةَ القلب كما نص عليه الأئمة الأخيار.

فالجواب الثاني: ما لكم تقرؤون لفظ «من» بسكون النون جاعلين له اسم الموصول لم لا تقرؤونه «مَنٍّ» بتشديدها مكسورا مضافا إلى الجملة، أي صلى الله تعالى على مِنَّةِ هذه الآية وهو محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ (إبراهيم: ٢٨).

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نعمة الله: محمد ﷺ، فهو ﷺ نعمة الله ومنة القرآن. وخص هذه الآية بالذكر لمناسبة المقام فإنه ﷺ أول العالمين، خلق فشهد كل الخلائق لوجوده أول منها جميعا، وآخر المرسلين بعثا فجمع جميع ما أنزلت إليهم من العلوم، وظاهر بآياته منها إخباره(**) بالغيوب، وباطن بحقيقته التي هي المظهر الأتم للذات العلية والصفات الأزلية، فهو ﷺ عالم بإعلام ربه تبارك وتعالى جميع ما كان وما يكون من أول يوم إلى آخر الأيام. فأمتن الله تعالى عليه بتجلي هذه الأسماء الخمسة، وامتن علينا بإرساله فهو منة تلك الآية الكبرى.

(*) قوله: فبها ونعمت، أي ليكن وهو حسن لا غبار عليه.

(**) في الأصلين: بإخباره.

الجواب الثالث: لاشك أنه ﷺ سمى بكثير من أسماء الله الحسنى، عد منها سيدنا الوالد قدس سره الماجد في كتابه المستطاب «سرور القلوب في ذكر المحبوب» سبعة وستين اسما وزاد الفقير عليه جملة صالحة في كتابي «العروس الأسماء الحسنا فيما لنبينا من الأسماء الحُسنى» وذكر مخارجها ومآخذها، ومعلوم أن الأول والأخر والظاهر والباطن أيضا من الأسماء التي أعطاها ربنا تبارك وتعالى نبينا ﷺ.

انظر المواهب وشرحه للزرقاني وفيها جميعا حديث[1] نفيس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيه إرساله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام إليه ﷺ

---

(١) قال العلامة القاري في شرح الشفا: قد روى التلمساني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: نزل جبريل فسلم علي فقال: «السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا ظاهر، السلام عليك يا باطن. فأنكرت ذلك عليه، وقلت: إنما هذه صفة الخالق، فقال: يا محمد إن الله تعالى أمرني أن أسلم بها عليك لأنه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين، فشق لك اسما من اسمه ووصف من وصفه وسماك بالأول، لأنك أول الأنبياء خلقا، وسماك بالآخر لأنك آخر الأنبياء في العصر، وخاتم الأنبياء إلى آخر الأمم، وسماك بالباطن لأنه تعالى كتب اسمك مع اسمه بالنور الأحمر في ساق العرش قبل أن يخلق أباك آدم بألفي عام إلى ما لا غاية له ولا نهاية، فأمرني بالصلاة عليك فصليت عليك ألف عام بعد ألف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وسماك بالظاهر لأنه أظهرك في عصرك هذا على الدين كله وعرف شرعك وفضلك أهل السماوات والأرض، فما منهم من أحد إلا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليك فربك محمود وأنت محمد وربك الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت الأول والآخر والظاهر والباطن. فقال رسول الله ﷺ، الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين حتى في اسمي وصفتي»(*). =

(*) لم أجده بهذا اللفظ فيما لدي من المصادر. وروى الضياء في المختارة (٢٢٧٨) برقم (٢٢٧٧)، وفيه مجيء جبريل عليه السلام بالبراق وفيه: «ثم لقيه خلق من الخلق فقال السلام عليك يأول، السلام عليك يا آخر، والسلام عليك يا حاشر فقال جبريل: أردد السلام يا محمد، فرد السلام. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق جـ٣ والبيهقي في دلائل النبوة برقم ٦٥٤ بنحوه، كلهم من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه. والله تعالى أعلم.

وتسميته بتلك الأسماء الأربعة وبيان وجه كل ذلك فاجعلوا «من» موصولة وتمت صلتها إلى قوله والباطن.

أما قوله: وهو بكل شيء عليم، فإنا نسألكم هل تصح إضافة هذه الجملة إلى النبي ﷺ أم لا وليس يصلح لها؟ فإن كان الأول فماذا النفور؟ وإن كان الآخر فلم تجعلون الضمير فيه إليه ﷺ، لم لا تجعلونه لله عز وجل؟ وقد تقدم ذكره تعالى فيه فيكون المعنى صلى الله تعالى على من هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو سبحانه وتعالى بكل شيء عليم، ختمه بها كما ختم الله عز وجل﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠) بقوله:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

فإن زعمتم أن فيه تفكيك(*) الضمائر. قلت: كلا، بل عدم صلوح الجملة له ﷺ كما زعمتم أجلى قرينة على أن الضمير ليس له ألا تسمعون قول الله تبارك وتعالى:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح: ٨- ٩).

فضمائر﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ لرسول الله ﷺ وضمير ﴿ وَتُسَبِّحُوه ﴾ لله سبحانه وتعالى. ولذلك وقف القراء على﴿ وَتُوَقِّرُوه ﴾ ولم يلزم الانتشار لأنه سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له. فعدم صلوحه له ﷺ كان أزهر قرينة على أن هذا الضمير لله تعالى فما لكم كيف تحكمون؟!

= وفي «درر الغواص» وفي «الجواهر والدرر» كلتاهما لسيدي عبد الوهاب الشعراني عن شيخه سيدي علي الخواص قدس سرهما في شأنه ﷺ سره جامع ومظهره لامع فهو الأول والآخر والظاهر والباطن إلخ. انتهى. منه غفر له مدنية

(*) في (ب): تكفيك.

الجواب الرابع: هب أن المصنف راجِعٌ في نيته الضمائرَ كلَّها للنبي ﷺ مع أنه ليس لكم الحكم على قلب أحد، فأنبئونا كيف يقضي به على خروجه عن التوحيد أو عن دائرة السنة والجماعة؟ فإن كونه ﷺ عليما مما لا ينكره مسلم بل ولا كافر سبر أخباره ﷺ.

مطلب

إطلاق لفظة «كل شيء» واختلاف معانيه باختلاف المحل

أما كل شيء **فأقول:** له موارد شتى، والكل في القرآن أتى:

قال تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح: ٢٦) هذا يشمل جميع المعلومات والمفهومات من الواجب والممكنات والمحالات وهو العام المخصوص من قولهم ما من عام إلا وقد خُصَّ منه البعض.

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٠) فهذا يشمل الممكنات الموجودات والمعدومات ولا سبيل له إلى الواجبات والمحالات كما حققته في «سبحان السبوح عن عيب كذب مقبوح» إذ لو قدر على الواجب لم يبق إلهاً كما تقدم أو على المحال فَمِنَ المحال فناؤه، فيقدر عليه فيكون فناؤه ممكناً، فلم يكن وجوده واجباً فلم يكن إلهاً.

مطلب

بصره تعالى يعم الموجودات دون المعدوم

وقال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ (الملك: ١٩) فهذا يشمل الموجودات جميعا من الذات والصفات والممكنات دون المحالات والمعدومات لأن المعدوم لا يصلح للرؤية كما نص عليه علماؤنا في أصول الدين منهم سيدي عبد الغني النابلسي قدس سره في «المطالب الوفية».

قلت: ألا ترى أن من يرى ما لا وجود له في نفس الأمر كالدائرة في الشعلة الجوالة والخط في القطرة النازلة ودوران الدار بدوران الرأس، فإنه يقال له، أخطأ في النظر، وتُعَدُّ تلك المرئياتُ من أغلاط البصر، والله منزه عن الخطأ والغلط.

وقال تعالى: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٠٢) هذا إنما يشمل الممكن الموجود في شيء من الأزمنة لا الواجب ولا المحال ولا الممكن الذي لم يوجد، ولا يوجد إلى أبد الأبد.

وقال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (يس: ١٢) فهذا لا يشمل إلا ما وجد، ويوجد من الحوادث من أول يوم إلى أخر الأيام، لا غير المتناهي لاستحالة أن يحيط به المتناهي كما تقدم.

فانظر أن اللفظة(*) في المواضع الخمسة واحدة، والمراد بها في كل مقام العموم، لكن إنما شملت كل كلمة ما في دائرتها لا ما هو خارج عنها غير صالح لها. وهذا لا يرتاب فيه عاقل فضلا عن فاضل، وقد أثبتنا عرش التحقيق أن القرآن العظيم، وصحاح أحاديث الرسول الكريم - عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم - ناطقة بحصول علم ما كان وما يكون من أول يوم إلى اليوم الآخر أعني ما كتب في اللوح المحفوظ لنبينا ﷺ. ونص العلماء منهم العلائي في «الدر المختار» أنه يجوز إطلاق الأسماء المشتركة كعلي ورشيد على الخلق ويراد فيهم غير ما يراد في الله تعالى. فإذن قوله: وهو بكل شيء عليم إذا أضيف إلى الله تعالى عليه يراد به المعنى الأول، وإذا أضيف إلى النبي ﷺ يراد به المعنى الخامس، فلا محذور ولا محظور.

(*) في (أ): لفظة.

الجواب الخامس

مطلب

تصريح الشيخ عبد الحق الدهلوي أنه ﷺ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم

سيدنا الشيخ المحقق عبد الحق المحدث البخاري الدهلوي(*)، قدس سره المعنوي، من أجلة العلماء وأكابر الأولياء ملأ ذكره الأسماع والبقاع، وطاب بطيب نشره البلاء والبقاع، ولابد أن ساداتنا علماء مكة أيضا عالمون بجلالة شأنه ورفعة مكانه، له - قدس سره - مصنفات جليلة الوقع، جزيلة النفع في الدين والشرع، منها «لمعات التنقيح شرح مشكاة المصابيح» و«أشعة اللمعات» في أربع مجلدات و«جذب القلوب» و«شرح سفر السعادة» في مجلدين، و«فتح المنان في تأيد مذهب النعمان» و«شرح فتوح الغيب» و«مدارج النبوة» في سيره ﷺ في مجلدين لطيفين و«أخبار الأخيار» و«آداب الصالحين» و«مقدمة في أصول الحديث» إلى غير ذلك، مضت على وفاته قدس سره ثلاثمائة سنة، مزاره بدهلي يزار ويتبرك به.

فهذا الإمام الجليل القدر الجلي الفخر، قد بدأ خطبة كتابه مدارج النبوة، بتلك[1] الآية المتلوة، وقال تلك الكلمات: كما أنها مشتملة على حمد الله تعالى وثنائه

(١) وأزيدك أخرى ألذ وأحلى، قال سيدنا الشيخ الأكبر؇ في الباب العاشر من الفتوحات المكية ج١ ص١٧٧: أول نائب كان له ﷺ وأول خليفة آدم عليه الصلاة والسلام، ثم ولد واتصل النسل =

(*) ولد سنة ١٥٥١م في دهلي، وأخذ الطريقة القادرية من الشيخ موسى الجيلاني ثم أخذ الطريقة النقشبندية من سيدي محمد الباقي بالله شيخ مجدد الألف الثاني الإمام أحمد الفاروقي السرهندي. ودرس الحديث والسلوك كذلك في الحجاز من الشيخ عبد الوهاب المتقي. ولما عاد إلى الهند نشر العلوم الشرعية وكان له دور إصلاحي كبير وساهم في ربط الناس بمصادر الإسلام الكبرى القرآن والسنة وألف الجم الكثير كما يشير إليه المؤلف أدناه. وتوفي سنة ١٠٥٢ هجرية وله من العمر تسع وأربعون سنة.

حمد بها نفسه في كتابه، كذلك تتضمن نعت رسول الله ﷺ وسيماه(*)، وَصَفَهُ بها ربه تبارك وتعالى، وكم من أسماء الله الحسنى في الوحي المتلو وغير المتلو سمى الله بها حبيبه ﷺ: كالنور والحق والحليم والمؤمن والمهيمن والوالي والهادي والرءوف والرحيم وغير ذلك. وهذه الأسماء الأربعة الأول والأخر والظاهر والباطن أيضا. ثم أخذ يذكر وجه كل اسم منها، ثم قال: وهو بكل شيء عليم، النبي ﷺ عليم بجميع الأشياء من شئونات الذات الإلهية وأحكام صفات الحق والأسماء والأفعال والآثار، وأحاط بجميع علوم الظاهر والباطن والأول والآخر وصار مصداق ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف: ٧٦) عليه من الصلوات أفضلها ومن التحيات وأتمها. انتهى مترجماً.

فإن كان هذا جُرْماً في الشرع فهذا الإمام(١) الجليل أشد جُرماً من المجيب وهو السَلَفُ له فيه، فاحكموا عليه وأنبئوني هل هو قدس سره أجاره ربه كافر

= وعين في كل زمان خلفاء إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر المحمدي ﷺ. فظهر مثل الشمس الباهرة فاندرج كل نور في نوره الساطع، وغاب كل حكم في حكمه وانقادت جميع الشرائع إليه. وظهرت سيادته التي كانت باطنة، فهو الأول الآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، فإنه قال: «أوتيت بجوامع الكلم»(**) وقال عن ربه: «ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثدي فعلمت علم الأولين والآخرين»(***)، فحصل له التخلق والنسب الإلهي من قوله تعالى عن نفسه: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وجاءت هذه الآية في سورة الحديد الذي ﴿ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد: ٢٥) فلذلك بعث بالسيف وأرسل رحمة للعالمين. انتهى. منه حفظه ربه مدنية

(١) وأزيدك أخرى أمر وأدهى، إن العلامة نظام الدين النيسابوري رحمه الله تعالى في تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» ارجع قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ =

(*) في الأصلين: وسماه، بالعطف على كلمة «نعت» ولا مفهوم له، وما أثبتناه موافق للمعنى.

(**) تقدم تخريجه

(***) تقدم تخريجه

= ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) إلى محمد ﷺ إذ يقول ج٣ ص٢٤ ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ هذا الاستثناء راجع إلى النبي ﷺ كأنه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة إلا عبده محمد ﷺ فإنه مأذون في الشفاعة موعود بها ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩) يعلم محمد ﷺ ما بين أيديهم من أوليات الأمر قبل خلق الخلائق، وما خلفهم من أحوال القيامة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ وإنما هو شاهد على أحوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾، ويعلم أمور آخرتهم وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك، ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أن يخبرهم عنه، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥) العرش مع عظمته كحلقه ملقاة بين السماوات والأرض بالنسبة إلى سعة قلب المؤمن، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ ولا يثقل الروح الإنساني حفظ أسرار السماوات والأرض ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١). انتهى. فاحكموا على هذا أهو كافر عندكم أم أنتم في ضلال مبين؟ انتهى. منه غفر له مدنية

أقول: وألقى في روعي أن تقديره على هذا أنه لما أشار قوله عز وجل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ إلى محمد ﷺ وأنه هو المأذون له بالشفاعة الفاتح بابها دون غيره ﷺ، فكأنه سأل سائل عن حكمة تخصيصه ﷺ به. **فأجيب بأن الشفيع عند الله تعالى لابد له أن يطلع على كل ما صدر ويصدر عن المشفوع لهم وعن مراتبهم في إيمانهم وأعمالهم الباطنة والظاهرة ليعلم من يستأهل الشفاعة، وأنه إلى أي قسم من الشفاعة يحتاج في نفسه وبأيها ينبغي إمداده في الحضرة فإن الشفاعة أقسام وكم لها من موطن ومقام فمن لا يعلم ذلك لا يكون على بصيرة مما يفعل ويقول** وإليه يشير قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (النبأ: ٣٨)، ومحمد ﷺ هو المحيط بكل ذلك من بين العالمين، فإنه يعلم العالمين وما هم عليه الآن وما بين أيديهم مما كان وما خلفهم مما يكون إلى آخر الزمان بإعلام ربه العزيز العلام.

فكأنه قبل الاطلاع على ما كان وما يكون لا يختص به ﷺ كما دل عليه الحديث المار «جلياناً من الله جلاه لي كما جلاه للنبيين من قبلي»(*). فأجيب بأنهم وإن علموا فلم يعلموا إلا بتعليمه وإمداده ﷺ ومع ذلك لم يحيطوا كإحاطته ولا أدركوا كإدراكه. كيف وإنهم مع ما هم الفضل والكمال لا يحيطون بشيء من علمه ﷺ إلا بما شاء:

فإنه شمسُ فضلٍ هُمْ كواكِبُها يُظْهِرنَ أنوارَها للناسِ في الظُّلَمِ =

(*) تقدم تخريجه

= فلكونه هو الأصل الأول وعليه فيه المعول وهو الأتم الأكمل خُصَّ بها دون غيره ﷺ، فكأنه قيل في المشفوع لهم من الأولين والآخرين من الكثرة ما يحسر دونها العدد. فإذا لم يكن له إلا شفيع واحد وهو ﷺ بشر فلعله قد يضيق صدره ويحصل له بذلك نوع تبرم فتهلك البقية. فأجيب كيف يضيق لهم صدره وقد وسع كرسيه السماوات والأرض فما ظنكم بقلبه الكريم الذي ما قبة العرش فيه إلا كبقة تطير في الفضاء بين الأرض والسماء؟! فكأنه قيل نعم، ولكن نخاف لعله ينسى بعضهم لما لهم من الكثرة العظيمة فيهلك المنسي. فأجيب كيف ينسى أحدا منهم وهو الذي﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا ﴾ مع ما فيها من مخلوقات تفضل على المشفوع لهم بكذا وكذا أضعافا لا يحصيها إلا الله تعالى؟!

تم الكلام وزالت الأوهام وحصل الهناء التام لكل من تعلق بطرف من ذيله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

واعلم أني لا أدعي أن هذا معنى الكريمة ولا ادعاه العلامة المفسر رحمه الله تعالى، وإنما هو من باب الإشارات المعهودة لأهل الباطن الرباني نفعنا الله تعالى ببركاتهم كقولهم في الحديث الصحيح «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب» إن البيت القلب، والملائكة تجليات إلهية، والكلب الشهوة ولا ينكرون المعنى الظاهر كالباطنية حاشاهم عن ذلك وصنيعهم. هذا محض الإيمان وكمال العرفان كما قاله السعدفي شرح العقائد وربما يأتون بشق أبعد وأغرب في نظر أهل الظاهر فيرمونهم بالخطاء والمين وما هو إلا من قبيل الخيار بدانقين والشيء بالشيء يذكر والقلب بحرف يتذكر وليس بأبعد من ذهاب أذهانهم بسماع التغزل في ليلي وسلمى وعزة وبثينة إلى محبوبهم

قال ﷺ في تفسير الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك» وقف بعض العارفين قدست أسرارهم على «تراه» الثانية بمعنى إنك إن لم تكن أي فنيت عن نفسك فإذن تراه وتصل إلى مقام مشاهدته تعالى لأن نفسك هي الحجاب بينك وبين شهود مولاك عز وجل واعترضه الإمام ابن حجر العسقلاني أن لو كان المراد ما زعم لكان تراه محذوف الألف ولبقى قوله فإنه يراك ضائعا لأنه لا ارتباط له بما قبله ثم سرد روايات في لفظ الحديث لا تحتمل هذا التأويل كرواية كهمس إنك إن لا تراه فإنه يراك.

وأجاب عنه المولى الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي رحمه الله تعالى في «لمعات التنقيح شرح مشكوة المصابيح» بأن إثبات الألف في المضارع المجزوم لغة شائعة، وعليه رواية قنبل عن ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ ﴾ =

= وقال الشاعر: «ألم يأتيك والأنباء تنمي» على أنه لا يجب جزم الجزاء إذا كان الشرط ماضيا، ولو معنى أي كما هنا وارتباط قوله فإنه يراك أنه لبيان إمكان الرؤية كما استدل في الكلام على إمكان رؤيتنا الله سبحانه برؤيته إيانا بغير جهة ومكان وخروج شعاع وغيرهما، يجوز أن الروايات الأخر بالمعنى بناء على ما فهم الراوي من معنى الحديث، قال: على أن ذلك ليس تأويلا للحديث وبيانا لمعناه المراد عند علماء العربية، وإنما ذلك شيء يلوح على بواطنهم بغلبة ما فيها من حال المحو والفناء وليس ذلك إلا من هذا اللفظ الوارد في هذه الرواية. وذلك في الحقيقة من قبيل سعتربرى والخيار عشرة بدانق، والله تعالى أعلم. انتهى مختصرا

وكذلك رده العلامة القاري في المرقاة غير أنه أوسع المقال في الجواب عن الإيراد الأول والثالث ولم يلم بجواب الثاني في إفصاحا إذ قال ما قيل من أنه لا يساعده الرسم بالألف فمدفوع بحمله على لغة أو على إشباع حركة أو على حذف مبتدأ وهو أنت وجاز حذف الفاء من الجملة الاسمية الواقعة موقع الجزاء. قال: وقوله «فإنه يراك» متعلق بالكلام السابق وإن كان له تعلق ما أيضا باللاحق.

قال: وإنما أطنبت في المقام لتخطئة بعض الشراح في ذلك الكلام ولا ينافيه ما ورد في بعض الروايات «فإنك إن لا تراه فإنه يراك» وفي بعضها «فإن لم تره فإنه يراك». فإن القائل بما تقدم ما ادعى المراد من الحديث المؤدى بالعبارة، بل ذكر معنى يؤخذ من فحوى الكلام بطريق الإشارة. انتهى ملخصا.

أقول: ولاح لهذا العبد الضعيف وجوه أُخَرُ في ارتباط «فإنه يراك»، أرجو أنها ألطف وأظرف، وتكون الجملة عليها لبيان ثبوت الرؤية لا مجرد إمكانها

الأول: فإن لم تكن وفنيت في طلب شهوده، تراه وتبلغ ما تريد، فإنه يراك ولا يغفل عنك طرفة عين، فإذا رآك أفنيت نفسك في طلبه فإنه لا يخيبُك، لأنك بلغت مقام كمال الإحسان و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠).

الثاني: فإن لم تكن فإنك تراه لأنك قد فنيت وهو الباقي، فإذن هو الرأي نفسه. وكيف لا يرى فإنه يراك وقد فنيت وهو الباقي الوجود؟!

الثالث: فإن لم تكن فحينئذ تراه به لا بك، إذ يصير هو بصرَكَ الذي تبصره به كما في صحيح البخاري، وبصره لا يحجب فإنه يراك وأنت خيال من بين عُكوس وظلال، فكيف لا يرى أصل الجمال؟! =

= هذا أما قوله من قبيل سعتر بري. فإشارة إلى ما في رسالة الإمام القشيري ﷺ بسنده إلى يحيى بن الرضي العلوي قال سمع أبو سليمان الدمشقي طوافا ينادي يا سعتربري فسقط مغشيا عليه فلما أفاق فقال حسبته يقول: اسعَ، ترَ بِري. انتهى، أي بكسر الباء وهو المعروف والإحسان وكان في قول طواف بفتحها.

وفي كتاب المرقى في مناقب سيدي محمد الشرقي، لحفيده عبد الخالق بن محمد بن أحمد بن عبد القادر ابن سيدي محمد الشرقي كان رجلا في زقاق مصر يبيع يقول يا سعتر بَري ففهم منه ثلاثة من العباد:

الأول: من أهل البداية: اسع، ترَ بِري، أي اجتهد في طاعتي، ترى مواهب كرامتي

والثاني: متوسط، ففهم يا سعةَ بِري، أي ما أوسع معروفي وإحساني من أحبني وأطاعني

والثالث: من النهاية، ففهم: الساعةَ ترَ بِري، أي الفتح جاء، فتواجدوا. انتهى.

وفي «الإحياء»: العجمي قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب. فإن بعض حروفها توازن الحروف العجمية. فيفهم منها معانيَ آخر. أنشد بعضهم:

وما زارني في النوم إلا خياله فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

فتواجد عليه أعجمي، فسئل عن سبب وجده، فقال إنه يقول ما زار لم وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في العجمية على المشرف على الهلاك. فتوهم أنه يقول كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة، والمحترق في حب الله تعالى وجده بحسب فهمه إلخ.

وبالجملة فليس تمسكنا هنا بتفسير الكريمة بل بتأويل المفسر واعتقاده بهذه المعاني حتى سوغ إشارة الآية إليها فهو إذن أولى عندكم بالكفر والعياذ بالله تعالى

والمقصود بيان إنكم محجوبون عن معرفة محمد ﷺ قدر ما عند علماء الظاهر فضلا عما أوضح الأولياء الكرام: فالمسلمين تكفرون، وما لم تعرفوا تنكرون، وتحسبون إنكم تحسنون كما قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ ﴾ (يونس: ٣٩).

ذلك مبلغهم من العلم، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور نسأل الله العفو والعافية. انتهى.

عندكم، أو ضال مضل، أو مسلم سني من العوام أو عالم كبير عماد للدين(*)، وارث لسيد المرسلين ، صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين. ألوحا ألوحا(**)!

أسرعوا في الجواب، وليحذر الصائلون أن يستتروا بنقاب.

مطلب

للأزل والأبد إطلاقان

السؤال الثاني: عن قول المجيب في حقه ﷺ إنه يعلم ما كان وما سيكون من الأزل(***) إلى الأبد؟

أقول: الجواب الأول: ترجمتم الكلام، بما يكثر لمثلكم إثارة الأوهام، فإن في لفظكم يحتمل تعلق «من» بـ«يعلم» فيكون المعنى على حمل الأزل على المصطلح الكلامي أنه ﷺ يعلم من الأزل الذي لا بداية له، وهذا كفر بَواح للزوم قدمه ﷺ ولا مساغ لهذا الاحتمال في قول المجيب(****)، فإن ترجمة عبارته في (ص٧) أن جملة

(*) بالأصلين: الدين، والمثبت أقرب للصواب بقرينة قوله:«وارث لسيد المرسلين».

(**) في الأصلين: الوحي، و «ألوحا» لفظ بلغة الأرواح المسماة اصطلاحاً بالسريانية، وهي غير اللغة السريانية التي هي من اللغات السامية كالعربية والعبرية، وهي ألفاظ ترد هنا مورد الدعاء أو النداء، وقد نص كثير من العلماء على التسليم لأصحابها بمعانيها طالما ثبت أنهم من أهل الورع والتشرع، ومنها الألفاظ الواردة في أحزاب أبي العينين سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ. إلا أنه ينبغي التنبه إلى الشيخ رضا خان ساقها هنا مساق التقريع، وكأنه يقول للمعارضين الذين أقام عليهم الحجة المفحمة: استعينوا بما شئتم من الدعاء والاستغاثة، فلن تجديكم نفعاً وقد ظهر دحضان حجتكم وتهافت منطقكم.

(***) في (ب) الأزال.

(****) وبهذا يتضح عقيدة المؤلف ﷺ وعقيدة الصوفية الحقة، وعقيدة أهل السنة والجماعة في أن ذات النبي ﷺ المحدثة لا تبلغ أبداً صفة القديم سبحانه وتعالى، كما يتضح من قوله الموضح بالخط تحته فيما يلي.

«ما لم تكن تعلم» تشمل جميع المغيبات التي تكونت من الأزل وستكون إلى الأبد. انتهى.

أما شمول علمه ﷺ لكل ما كان ويكون من الأزل إلى الأبد. فاعلم أنهما يطلقان ويراد بهما ما اصطلح عليه المتكلمون مما لا بداية لوجوده، ولا نهاية لبقائه، وشمول العلم لجميع الأشياء بهذا المعنى قد أذناك فيما سبق أنه خاص بالمولى سبحانه وتعالى، محال في العباد عقلا وسمعا، لكنهما ربما يطلقان ويراد بهما الأمد المديد في الماضي والآتي، كما صرح به في معنى[1] الأبد القاضي البيضاوي في تفسيره. وقال سيدي العارف بالله مولانا النظامي قدس سره السامي في مدحه ﷺ بالفارسية:

---

(١) وفي «الكوكب الأنور على عقد الجوهر» نقلا عن «التوقيف» الأزل للقدم ليس له ابتداء ويطلق مجازا على من طال عمره. انتهى.

وفي «الجواهر والدرر» للعارف بالله الإمام العلامة سيدي عبد الوهاب الشعراني فيما استفاده من شيخه العارف بالله سيدي على الخواص ﷺ ما نصه:

فقلت له فما المراد بقولهم كتب الله ذلك في الأزل؟ مع أن الأزل لا يتعقل إلا أنه زمان والزمان مخلوق والكتابة الإلهية قديمة. فقال ﷺ: المراد بالكتابة الأزلية هي العلم الإلهي الذي أحصى الله تعالى الأشياء كلها فيه. وأما الأزل فهو الزمان الذي بين وجود الله ووجود الموجودات المعقولة لأن فيه أخذ العهد على الوجود الخ.

فقد أبان الإمام السائل في السؤال أن الأزل بمعنى الزمان ليس إلا مخلوقا حادثا غير قديم. وأبان السيد العارف المجيب في الجواب أنه الزمان الذي أخذ الله فيه الميثاق فانتقى الريب، ورجع إلى العائب العيب.

قال الإمام أحمد ابن الخطيب القسطلاني رحمه الله تعالى في المواهب اللدنية ج٢ ص٣٨٠ قد أجاد العلامة أبو محمد الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة الملك لله هذا:

الملكُ لله هذا عِـزُ من عُقِدتْ ... له النبوةُ فوقَ العرشِ في الأزلِ

فلو أراد بالأزل القدم، فأين كان إذ ذاك العرش؟! انتهى. منه غفر له مدنية

محمد كازل تا أبد هرجه هست بـآرائش نـام او نقش بست

أي كل موجود من الأزل إلى الأبد إنما تصور وتكوّن زينة لاسم محمد ﷺ أي ليكون من خدمه وحشمه وينسلك في موكب جلاله وكرمه. فماذا تظن أنه أراد هاهنا بالأزل؟ إنْ حملته على المصطلح الكلامي، كانَ معاذ الله كفراً صريحاً، فَلِمَ لا تحملون كلام أخيكم على ما تحملون عليه كلام هذا السيد العارف؟ وقد كنت أردت هذا الإيضاح إذا أتيت في تصوير الدعوى بلفظة من «أول يوم إلى يوم القيامة» مكان «لفظة الأزل إلى الأبد» ولكن الإيلاع بالإيراد(*) يتسارع إلى محمل الفساد.

الجواب الثاني: لو نظرتم كلام المجيب نفسه على صحيفة ١٦ لعلمتم مراده بالأزل والأبد كما علمنا، فإنه يقول معلوم أن اللوح المحفوظ مرقوم فيه ومحفوظ جميع ما كان ويكون من الأزل إلى الأبد. انتهى.

فهل يتوهم عاقل أنه أراد إثبات ما لا يتناهى وجوداً ولا بقاءً في لوح محدود متناه، إنما أراد ما قلنا من أول يوم إلى اليوم الآخِر كما قد صح في الحديث عنه ﷺ لفظة «إلى الأبد»(**) في مثبتات اللوح وليس المراد قطعا إلا ما ذكرنا.

الجواب الثالث: يا ليتكم راجعتم رسالة المجيب نفسها ص١١ حيث نقل عن تفسير روح البيان ما نصه ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (القلم:٢) بمستور

(*) أي الولع بإيراد الاعتراض.

(**) يشير إلى الحديث الذي تقدم تخريجه ورواه الترمذي (كتاب القدر/ ٢٠٨١) ورواه باختصار (كتاب تفسير القرآن/ ٣٢٤١) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب. وهو من حديث سيدنا عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد... الحديث».

عما كان من الأزل وما سيكون إلى الأبد، لأن الجَنَّ هو الستر بل أنت عالم بما كـان، خبير بما سيكون. انتهى.

فهذا المفسر الفاضل سلفُ المجيبِ في هذا اللفظ، بل إن كان هـذا ذنبـاً فهـو أشد ذنبا من المجيب، لأن هذا إنما قاله في مقال نفسه والمفسر فسر به كلامَ ربه عـز وجل. فكل ما حكمتم في هذا اللفظ من كفر أو ضلال وغيرهما فاحكموا بـه أولا على ذلك العالم الجليل، ثم اجتازوا إلى المجيب النبيل.

السؤال الثالث: عن قول المجيب: إن علمه ﷺ شامل لجميع المغيبـات هـل هذا حق أم لا؟

أقول: الجواب: أما الجميع بمعنى الإحاطة الحقيقية بكل معلومات الله سبحانه وتعالى تفصيلاً فقد أخبرناكم أنه محال للخلق يقينا وقطعا، عقلاً وشرعـاً، أما بمعنى جميع ما كان وما يكون من أول يوم إلى اليوم الآخر فحق صـادق طاعـة وسمعاً، يا ليت شعري إذ يقول الله تعالى:﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ ويقول جـل وعـلا: ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ ويقول رسول الله ﷺ:«تجلى لي كل شيء»(*).

ويقول العلماء:«حصل لـه ﷺ جميـع العلـوم الجزئيـة والكليـة وأحـاط بهـا» وقالوا:«بين كل شيء» وقالوا:«أوسع العالمين» وقالوا:«أعلم ما كان ومـا يكـون» وقالوا:«يرى ويسمع الكـل كالمشاهد» وقـالوا:«هـو ﷺ عـالمٌ بجميـع الأشـياء» وقـالوا:«أحـاط بجميـع علـوم الظـاهر والبـاطن والأول والأخـر» وقـالوا:«إن العارف يتجلى له كـل شيء» كـما تقـدم كـل ذلـك، فـأي بـدع في التعبـير بجميـع المغيبات؟ أترون هذا أشد عموما من كلمات الله تعـالى وكَلِـمِ رسـوله ﷺ وأقـوال الأئمة وألفاظ العلماء، بل إن أخذتم الفطانة بيديكم وجدتموه أقصر عرضاً وأقـل

(*) تقدم تخريجه.

وسعاً من أكثر ما مَرَّ وإنما المراد ما تقرر واستقر، فإن كان هـذا كفـرا أو ضـلالة أو خطأ أو جهالة، فأولاً كلامَ الله تعالى ورسوله بدلوا، والعلـماءَ كفـروا وضـللوا أو جَهَّلوا، ثم بعد الكل إلى المجيب تحولوا!!

السؤال الرابع: هل علمه ﷺ له ابتداء وانتهاء ومحدود بحد أم ليس كذلك.

أقول: الجواب: أما الابتداء فنعم لأن علم الخلـق لا يمكـن إلا حادثـا وأمـا الانتهاء فإن أريد به أن يكون القدر الموجود من علومه ﷺ في كل زمان معروضـا(*) لعدد ما في علـم الله تعـالى وإن لم يـستطع إحـصائه بـشر ولا ملـك، فهـذا أيـضا صحيح ولا شك، وإن أريد أن يقف علمه ﷺ عند حـد لا يتعـداه، فباطـل والله لا يرضاه، بل لا يزال حبيبنا ﷺ في أبد الآباد يترقى في علمه بربه وصفاته عـز وجـل، وقد فصلنا القول في ذلك كله في النظر الأول.

السؤال الخامس: عن قولي في تقريظي(**) ما عربه السائل بقوله ما عزب عـن علمه مثقال ذرة، فهل أردتم بذلك أنه ما عزب عن علمه مثقال ذرة من الأزل إلى الأبد أم غير ذلك؟

أقول: الجواب الأول: إنما ترجمة لفظي «لم تبـق ذرة خارجـة عـن علمـه ﷺ» وهو صريحا ناظر في الحدوث، بخلاف ترجمة السائل، عـلى أنـه زاد لفظـة مثقـال، وليس في كلامي، كأنه يريد أن يـستقيم الـتردد والترديـد المـذكور في سـؤاله هـل أردتم من الأزل إلى الأبد أم غيره، وذلك لأنه لو لم يزد لفظة مثقـال وقـام يـسأل، هل ما عزب من علمه ذرة من الأزل، كـان دلـيلا أنـه يقـول بوجـود الـذرات في الأزل فيكون كفرا بواحا أدل، فـزاد مثقـال ولم يـدر أن لـيس في الأزل مـا يـوزن

(*) كذا في الأصول، ولعلها: معروفاً، والمعنى قريب في الحالتين.

(**) في (أ): وتقريظي.

بالمثاقيل، إنما هو الجليل وصفات الجليل، فبقى كلامه وترديده ناظرا إلى احتمال الكفر أو ظاهرا فيه، وقد تقرر أن هذا هو مآل من حفر بئراً لأخيه، ثم قد عرفناك الأمر مراراً، وأعلنا لك بالحق جهارا، ولفظة الأزل ليس في كلامي ولا هو بالمعنى المتوهم له مرامي.

الجواب الثاني: هنا ثلاث مراتب الأولى: مرتبة المسلم، الصالح السالم، لا يظن بالمسلم إلا الخير، فإن وجد ما له وجه(*) إلى غير، أَوَّلَ وحوَّلَ عن الضر والضير.

الثانية: من لم يوفق لهذا، لكن له نوع ديانة، وفي الدين صيانة، فهو لا يختلق لأخيه من نفسه مُحالاً، ليجد للظن والريبة مجالا.

والثالثة: من تقاضى في الحرمان من هذه الآلاء، لكن في عينيه بقية حياء فإذا رأى التصريح بخلاف ما يفتريه الظن القبيح، فلا يجترئ ولا يُقْدِم، لأن بمرآه ما يرد ويلجم، أما من حسد وفسد، تعدى الحد، فيرى ويعرض، ويسمع ويعترض، وأنا أنبه الصائل وقد أوردتُهُ المناهلَ وأفدته المسائل، وأجدت له الدلائل، أن لا يكون من أسفل الأسافل، كيف وما كان لكلامي مجرد تجرد عن لفظة الأزل، بل قد كان مصرحاً فيه بتصريح أجلِّ، أن المرادِ ما يكون وما كان إلى أخر الأيام من اليوم الأول.

فالتنصيص بذلك أما كان سدَّ على الظنِ المسالكَ، ولكن الحسد حَسَكَ، من تعلق به فسد وهلك، فإياك إياك، وموارد الهلاك، والله يتولى هدانا وهداك.

الحمد لله تم الجواب، وظهر الصواب، وإذ قد خرجت العجالة، في صورة الرسالة، فأحب أن أسميها **(الدولة المكية بالمادة الغيبية)** ليكون عَلَماً وبموضوع

(*) بالمطبوع: وجد، ولم نهتد لمعناه فيما بين يدينا من مصادر، وما أثبتناه للصواب أقرب.

التأليف ومكان التصنيف مشعراً معلماً، وبحساب الجمل على عام التأليف علامة وعلما(*).

الحمد لله! كان العبد الضعيف أتم القسم الأول في النهار الأول في سبع ساعات، ثم زاد فيه النظر السادس للإفادة، وكتب اليوم مع كثرة الأشغال القسم الثاني بعد الظهر، وأتمه في نحو ساعة وزيادة.

فتم بحمد الله تعالى لثلاث بقين من ذي الحجة يوم الأربعاء، قبل العصر، وأفضل الصلاة وأكمل السلام على المولى المخصوص بطيب النشر، شفيعنا بمنه يوم الحشر، وعلى آله الكرام وصحبه العظام ما دار الفجر وليالي عشر، والحمد لله رب العالمين.

(*) وحساب لفظ العنوان ١٣٢٣ وهو العدد الذي يساوي سنة التأليف.

تقاريظ مختارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المعطي الوهاب، الذي ليس لعطائه حد مانع ولا حجاب أعطى نبيه الأكرم الحكمة وفصل الخطاب، أطلعه على ما كان وما يكون من غير حصر بل من جميع الأبواب، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله والأصحاب وبعد:

فإن شيخنا العلامة المجدد، شيخ الأساتذة على الإطلاق، المولوي الشيخ أحمد رضا خان حين وصل إلى مكة عام ثلاثة وعشرين وثلاث مائة وألف لحج بيت الله الحرام، سعي أهل الزيغ بمعاضدة بعض الفسقة ذوى الفساد ومن لا خلاق له في الإضرار به – حفظه الله – عند أمير مكة في ذلك الحين وأرادوا به كيداً، فقدموا له سؤالاً في حقيقة علم الرسول، وظنوا أنه يعجز عن الجواب لكونه على جناح السفر ولم يكن عنده في ذلك فرصة ولا كتاب. فكتب مولانا – أيده الله – عليه بما أقر به عين كل مسلم وأذل وخذل كل كافر وفاسق وبدعي مظلم. فأزال عن القلوب الغواشي وألغى وأبدلها بالسرور والحبور والمني – منحه الله من الدارين السعادة، وجعله ممن له الحسنى وزيادة –

وبعد أن مضت سنون بلغني أن رجلاً كتب ردية رديئة على جواب مولانا الشيخ أحمد، فأخبرني من رآها وقال لي ليته حين كتب ما كتب جنح للطريق الأصل، بل ادعى آخر فيما كتبه كذباً وزوراً وفسقاً وبهتاناً وفجوراً. أن الشيخ أحمد رضا حكم في رسالته التي هي جواب لسؤال الذي رفع إليه بأن علم الرسول متعلق باللامتناهي، وأن علمه كعلم الله تعالى لا فرق بينهما سوى ما يتعلق بالذات.

فحاش لله أن يقول شيخنا المذكور شيئاً من ذلك! كيف وهـذه رسـالته بـين أيدينا مصرح فيها في غير ما موضع بخلاف مـا ادعـاه، فهـاك نقـلاً مـن الرسـالة المذكورة أعني جواب السؤال المعروض على مولانا الشيخ أحمـد المـذكور تكـذيباً لهذا الخاسر، وبيان حالهم للمصنف حتى يعلم أنهـم إن مـا يروجـون مـا يكتبـون للجهلاء والغافلين من العلماء إنما هو بالأكاذيب.

الأول: قوله في أوائل النظر الأول بعد تقسيمات العلوم ففي علمـه سـبحانه وتعالى سلاسل غير متناهية بمرات غير متناهية. بل له سبحانه في كل ذرة علوم لا تتناهي إلى أن قال: ومعلوم أن علم المخلوق لا يحيط في آن واحد بغير المتناهي كـما بالفعل تفصيلاً تاماً بحيث يمتاز فيه كل فرد عن صاحبه امتيازاً كلياً إلخ.

الثاني: قوله في السطر بعده فعلم المخلوق الحاصل بالفعل وإن كثـر مـا كثـر حتى يشمل كل ما في العرش والفرش من أول يوم إلى اليـوم الآخـر ألـوف آلاف أمثال ذلك لا يكون قط إلا متناهياً بالفعل لأن العرش والفرش حـدان حـاصران وأول يوم إلى اليوم الآخر حدان آخران، وما كان محصوراً بين حاصرين لا يكـون إلا متناهياً.

الثالث: قوله بعده بسطر: «فحصل أن اللاتناهي الكمي مخـصوص لعلـم الله تعالى... ولا يحصل لغيره».

الرابع: قوله بعده بعدة أسطر: «فثبت أن إحاطة أحد مـن الخلـق بمعلومـات الله تعالى على جهة التفصيل التام محال شرعاً وعقلاً. بل لو جمع علم جميع العـالمين أولاً وآخراً لما كانت له نسبة ما إلى علوم الله سبحانه وتعالى حتى كنسبة حصة مـن ألف ألف حصة[1] وقطرة إلى ألف ألف بحر».

---

(١) في الأصل: حصص.

الخامس: قوله في بداية النظر الثاني:«زهر وبهر مما تقرر أن شبهة مساواة علوم المخلوقين طراً أجمعين لعلم ربنا إله العالمين ما كانت لتخطر ببال المسلمين».

السادس: قوله بعد أسطر «فلو فرضنا أن زاعماً يزعم بإحاطة علومه ﷺ لجميع المعلومات الإلهية فمع بطلان زعمه وخطأ وهمه لم تكن فيه مساواة لعلم الله تعالى».

السابع: قوله في السطر بعده «وقد أقمنا الدلائل القاهرة على أن إحاطة علوم المخلوقات بجميع المعلومات الإلهية محال قطعاً عقلاً وسمعاً».

الثامن: قوله في أول النظر الثالث:«أن العلم الذاتي والمطلق المحيط التفصيلي مختص بالله تعالى وما للعباد إلا مطلق العلم العطائي».

التاسع: قوله في النظر الخامس «لا نقول بمساواة علم الله تعالى ولا بحصوله بالاستقلال ولا نثبت بعطاء الله إلا البعض».

العاشر: قوله في النظر السادس:«فيكون المعنى أن الله تعالى قد علم نبينا ﷺ جميع الغيوب مما سوى الخمس باطل قطعاً وإلا لزم إحاطة علمه ﷺ بجميع سلاسل غير المتناهيات. ولا نقول به نحن أهل السنة فكيف الوهابية الذين إنما شمروا أذيالهم لتنقيص شأن محمد ﷺ انتهى ما أردنا نقله وفيه الكفاية لمن نور بصيرته.

إذا عرفت هذا فاعلم أن شيخنا المذكور الشيخ أحمد رضا خان لما فرغ من كتابته على السؤال المعروض عليه أمر شريف مكة الشيخ صالح كمال – مفتي مكة سابقاً – بأن يقرأه في مجلسه على ملأ من الناس وكانت الفئة الطاغية حينئذ جلوساً وعلماء الوهابية حضوراً فقرأ مولانا الشيخ صالح كمال الجواب وما أودع فيها مولانا من جزيل الخطاب وبين لقولهم الباطل ومذهبهم العاطل. فكتبوا

وبهتوا خذلهم الله تعالى أين ما كانوا وأذاقهم العذاب الأليم. فحينئذ ظهر لأمير مكة أن مولانا أحمد رضا على الحق والصواب وأخصامه وهابية كانوا أو غيرهم على الضلال والارتياب. وأعرض عنهم لما تبين له أن الباعث لهم على ذلك إما سوء اعتقادهم أو غرض من الأغراض حتى أنه أخبرني من أثق به أن بعض من هو ملازم للشريف ممن لا يميز يمينه من شماله وكان ذا وجاهة عنده أكد الطلب وكرره أن يمنحه بإجراء بعض إهانة في حق الشيخ فأجابه الشريف – جزاه الله خيرا – بالامتناع قائلاً له: كيف يكون إجراء مثل هذا الأمر والعلماء كلهم قاطبة قائمون وقائلون بقوله، وإنا كلنا مرجعنا إليهم والاستفادة منهم.

فأعز الله مولانا الشيخ أحمد المذكور على رغم أنوفهم. واكتنفه العلماء والطلبة فمن سائل مستفيد، ومن مقدمٍ سؤالاً للاستفسار على القول السديد ومن طالب إجازة، ومن منتظر إشارة، هذا حاله وهو بمكة.

وحين أراد التوجه إلى زيارة الحبيب المصطفى ﷺ كان الطريق غير مستقيم واستطراقه متعسر فيسر الله له الطريق والرفيق كرامة لنبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وشيعه العلماء والطلبة أطال الله لنا بقاءه وجعله ذخراً ليومنا والمعاد.

حرر في ١٩ جمادي الثاني ١٣٢٨ للهجرية.

السيد إسماعيل بن خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد! فقد أطلعت على رسالة الفاضل الكامل سيدي أحمد رضا خان المسماة بالدولة المكية بالمادة الغيبية فوجدت مؤلفها الكامل سيدي أحمد رضا خان المذكور مستحقاً للثناء الجميل في نفسه وفي رسالته المذكورة بثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنه رأس علماء الجهة التي هي مقره، وأنه المحقق المدقق في علوم الشريعة ومطالبها أصولاً وفروعاً.

الوجه الثاني: أنه قام واجتهد في حق جناب سيد المرسلين بحسن تعظيمه وإجلاله كما ينبغي وبالخصوص ما أكرمه الله تعالى به من العلوم الغيبية التي لا نهاية لها مما في اللوح المحفوظ والعرش والعوالم العلوية وغيرها مما بينه في رسالته المذكورة واستدل عليه وبرهن لما نقله عن بعض مشايخه وعن المؤلفين المتقدمين والمتأخرين مما لا يكاد ينحصر كما يراه من أطلع عليه في الرسالة المذكورة.

الوجه الثالث: رسالته المذكورة العظيمة في شأنها مع كونه ألفها في عام حِجَّةِ سنة الثالث والعشرين في زمن يسير كما ذكره وأتقنها وبسط في الاستدلالات والمباحث حتى أنها وقعت عند علماء الحرمين موقعاً جليلاً وقرظوا له عليها وأجادوا فيما قاموا به له وهو قليل من قدره. إذا علمت ذلك كله تبين واتضح لك ضلال المعترضين عليه من الوهابية والحسدة. هذا ما تيسر لي من نصرة هذا الإمام الكامل.

قاله بفمه ورقمه بقلمه المرتجي من ربه كمال النيل.

محمد سعيد بن محمد بابصيل

مفتي الشافعية وشيخ العلماء بمكة المحمية

غفر الله له ولوالديه ومشايخه وجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عالم الغيب الذي أوضح سبيل الـدين باجتهـاد الأئمـة المجتهـدين جعلنا ببركتهم من جملة المهتدين، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه الذي تفرد بالكبرياء وتنزه عن سمة النقص والكذب والافتراء، وأشهد أن سـيدنا محمد عبده ورسوله الذي بعثه الله ومعالم الدين قد درست، والألسنة عن التوحيد قد خرست، فلم يزل ﷺ قائماً بالإسلام حتى شيد أركانـه وأعـلى مكانـه صـلى الله تعالى عليه وسلم صلاة وسـلاماً مـا خطـرت المقاصـد في الأفهـام، وزالـت عـن النفوس الشبهة التي كانت تعرض في الأوهام.

أما بعد

فله الحمد جل وعلا قـد أوجـد العلـماء في الأعـمار والأمـصار وجـدد بهـم الدين، وأودع في قلوبهم من الأسرار والأنوار ما أوزعت به نفوسهم تمـام التبيـين وضمائرهم كمال التحقيـق واليقـين. وإن مـنهم العلامـة الفهامـة الهـمام والعمـدة الدراكة ألا إنه ملك العلماء الأعلام الذي حقق لنا قول القائـل: «المـاهر كـم تـرك الأول للآخر» صاحب هذه الرسالة المسماة بالدولة المكية الذي قد سرحت نظري فيها فرأيت أسرار البراهين فاشية في معانيها.

ولقد أجاد مؤلفها وأفاد، وأوضح سنن الهداية والرشـاد، فـما كـل مـن جمـع ألف، ولا كل من أكثر النقل والعز وصنف، إنما تلك مواهب وهب بها المـولى لمـن شاء وجعله أولى، وكل يدعي وصلاً بليلي، فمن تأمل مـا فيهـا ونظـر في ظاهرهـا وخافيها تحقق عنده كذب زعم قول القائل بأن مؤلفها ذكر فيها مساواة علم نبينـا ﷺ بعلم الله – عز شأنه وتعاظم برهانه – وغير ذلك من الأكـذوبات والأقاويـل،

وظهر الحق وزهقت الأباطيل، فجزى الله صاحب الرسالة خير جزاء وأثابه وأقامنا وإياه على أحسن الطرق وأقوم المذاهب وأهلك حسادنا وحساده. آمين.

أمر برقمه خادم الشريعة والمنهاج

عبد الله بن عبد الرحمن سراج

مفتي الحنفية بمكة المحمية

غفر له ولوالديه ولجميع المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

لله أحمد رضا بما صنع وأصلي وأسلم على رسوله خير متبع وآله وصحبه من نورهم سطع. أما بعد!

فإن الرسالة المسماة بالدولة المكية بالمادة الغيبية خالية عما ادعاه على مؤلفها أهل الزور والبهتان من أنه – حماه الله – ادعى فيها مساواة علم الرسول ﷺ لعلمه عز وجل إلى آخر ما ادعاه أهل الطغيان حسدة رسول الله ﷺ الداخلون في عموم قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (النساء: ٥٤) بل عباراته فيها صريحة بنفي تلك المساواة حيث قال في النظر الخامس: لا نقول بمساواة فيها صريحة بنفي بالاستقلال، ولا نثبت له بعطاء الله تعالى إلا البعض، إلى غير ذلك من التصريحات الواضحة ونسبة تلك الأكاذيب الفاجرة إليه وقاه الله كذب صريح وحسد قبيح:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قُلْنَ لوجهِها   حسداً وزورا إنه لذميم

فهم الأحق بما قالوه في حقه – حفظه الله تعالى من تلك التشنيعات والبشاعات والإشاعات – طبع الله على قلوبهم فلا يعودون أفلا يرتدعون بما حصل لهم من الخزى والنكال أيام تأليف هذه الرسالة بمكة المشرفة حين ولوا مدبرين؟ ولهم ما وقع لأستاذهم عند سماع التأذين. اللهم إنا نعوذ بك من المكر والاستدراج والتفوه في حق كبار العلماء بما يوجب الطرد عن سبيل النجاة إلى سبيل الاعوجاج. اللهم زد وبارك وأطل عمر هذا الأستاذ الكبير والعالم النحرير ليكون غصة وشوكة في حلق كل مبتدع جهول لا يقدر قدر سيدنا ونبينا مولانا محمد الرسول وصل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وزد ترقيه في العلوم الدينية

والفيوضات الإحسانية والكمالات الجمالية وأفض علينا من علومه ما يكون لنا سبباً للرضا والرضوان والفوز بجواره ﷺ في أعلى الجنان.

كتبه

أفقر العباد محمد صالح ابن المرحوم العلامة الشيخ صديق كمال
مفتي الأحناف بمكة المكرم سابقاً الخطيب والإمام المدرس
بالمسجد الحرام حالاً كان الله ولولديه ولمن انتسب إليه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جلت نعمه، وعم جوده وكرمه، منح من شاء من المواهب ما شاء، ومحي ليل الضلال بضياء شموس العلماء، والصلاة والسلام على معدن الأسرار الربانية، وخزائن العلوم الاصطفائية، سيدنا محمد السر الجامع، والنور الساطع، المخصص بالتبجيل والتكريم، المخاطب بقوله تعالى﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وعلى آله وكافة الأصحاب وتابعيهم إلى يوم المآب.

أما بعد

فإن من حسن الحظ توفيق الكبير المتعال عبده الحقير الذليل بتسريح اللحظ في هذا الكتاب العديم المثال الحائز لصحيح النقول وأدلة المنقول والمعقول المسمى بالدولة المكية في المادة الغيبية، فألفيته مواهب لا تدرك بيد الاكتساب، قد حوى الحكمة وفصل الخطاب، وأتى مؤلفه بما لم يسبق إلى مثل تحقيقه في هذا الباب. ولا بدع فالله يرزق من يشاء بغير حساب، فسبحان الله خص مؤلفه بكمالات الفضائل وخبأه لهذا الدهر الذي اختلط لكثرة فتنه الحابل بالنابل، وصال فيه الغبي الجاهل على كل ذكي فاضل، فالله أسأل أن يديم مؤلفه لنصرة الدين، والذب عن بساط سيد المرسلين، أعني بدر العلوم اللائح وقطرها الغادي والرائح، وثبيرها الذي لا يزحم، ومنيرها الذي ينجلي ليلها الأسحم، ذي التأليف الغرر المنيرات المضيئة في وجوه وهم المشكلات، وصاحب التصانيف الدالة على وفرة إطلاعه، وغزارة مادته وطول باعه، الإمام الذي ما ترك بابا مغلقاً إلا فتح صياصيه، ولا أمراً مشكلاً إلا أوضح مبانيه، جناب الأستاذ الفاضل والهمام الكامل شيخي وعمدتي علامة الزمان، أبو المعارف مظهر البرهان سيدي وأستاذي الشيخ أحمد رضا خان، متع الله الوجود بوجوده، وأدام طلوع بدر إرشاده في برج سعوده. آمين بحرمة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا وبموجب طلب بعض علماء المدينة نسخة من هذه الرسالة لعلهم يتحققون عما نقله إليهم بعض أهل الضلالة من الافتراءات التي نسبتها إليها حتى تصدى بعض السادة للرد عليها، صار نقل هذه النسخة بخط الأكرم المكرم الأديب الفاضل أخي العزيز جناب السيد الحسين الطرابلسي المدني، وذلك حين حلولي بساحة الأستاذ المشار إليه في أواخر جمادى الآخرة، وقابلتها على النسخة الأصلية المكتوب عليها تقريظان لمفتيي المدينة المنورة المرحومين العلامة الشيخ عثمان الداغستاني والهمام الشيخ محمد تاج الدين إلياس. فاقتفيت أثرهما في ذلك وإن لم أكن أهلا لأن أسلك تلك المسالك ولكن من قبيل فتشبهوا إن لم يكونوا منهم أن أتشبه بالرجال فلاح.

فأسأل الله أن يمن علي بخدمة عتاب صاحب الشفاعة العظمى والمقام الأسنى، ويتمطني[1] المسلك [كي أكون من][2] خدام خدمته بمنه وكرمه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائمين متلازمين ما طلعت الشمس وصليت الخمس.

جرى تحريره في يوم الاثنين الموافق لليوم العاشر من شهر رجب الأصم عام ثمانية وعشرين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

راجي عفو ربه المنان

عبد الله بن محمد صدقة بن زيني دحلان الجيلاني

خادم العلماء بالمسجد الحرام

---

(١) هكذا بالأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها المعنى.

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن قيض للذب عن شريعته والكفاح عن حياض أحكام دينه وملته رجالاً أعلاماً وأيدهم بتأييده القوي وأفاض عليهم من فيض سره السري ونشر لهم في الخافقين أعلاماً فقاموا يناضلون عنه بسهام أدلة مفوقة نحو من يروم إلقاء الزيغ في قلوب أهل هذه الملة فحازوا من الدرجات في الدارين أعلى ما، والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن تبياناً لكل شيء من جلي وخفي وجليل وكبير وصغير تصريحاً وتلويحاً إظهاراً وإبهاماً، وعلمه علوم الأولين والآخرين، وما كان وما يكون إلى يوم الدين إجلالاً له وإعظاماً، بل أطلعه على غيب الغيب الذي لم يطمع فيه أحد من المقربين. بل له الخمس التي يعرفها أتباعه من الأولياء العارفين تنبيها علو شأنه وإعلاماً سيدنا محمد ﷺ وشرف وكرم وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه الذين ورثوا من علومه وغرفوا من بحر غيوبه وفهومه علوماً غيبية عظاماً وعلى التابعين خصوصاً أئمة الدين والأولياء الواصلين صلاة وسلاماً متلازمين أبداً ودواماً. أما بعد:

فإني لما أطلعت على الرسالة المسماة بالدولة المكية لأوحد جهابذة الهند العلامة النحرير الإمام الشهير المفسر المحدث الأصولي الفقيه اللغوي الجدلي المناظري الشيخ أحمد رضا خان الهندي دام مجده وعلاه، وأمعنت النظر في تراكيبها ومبانيها وتأملت جيداً في مفاهيمها ومعانيها وجدتها بحراً عباباً وعجباً عجاباً، آخذة من التحقيق أعلاه، من التدقيق أقصاه وأغلاه، مؤيدة بالكتاب والسنة وإجماع هذه الأمة وجلي القياس، مدعمة بالحجج العقلية والبراهين اليقينية التي لا يَبقى معها بعد التأمل العاري عن المكابرة ريبٌ ولا التباس، دلت على تبحر مؤلفها المذكور أبقاه الله حجة للأنام وكهفاً للنوازل العظام، فلعمرِ الحق إنه أجاد وأفاد، بين المراد ونفع العباد بما أبداه من التحقيق والتحرير فما ذكره

من إشارة وتعريض وتصريح هو المعول عليه الذي يجب المصير إليه وهو الحق المبين والمنهج القويم المستبين الصحيح. تولى الله هدى الجميع بجاه سيدنا محمد النبي الشفيع عليه وعلى آله ألف ألف صلاة وألف ألف سلام يحصل بهما حماه المنيع آمين.

حرره شيخنا الواضع خط يده أسفله

حمدان الوينسي القسنطيني الجزائري

غفر الله له وستر زلته. آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإني لما تشرفت بالمجاورة في أعتاب سيد المرسلين في البلدة الطاهرة والمدينة المنورة في هذا العام ١٣٣١ الهجرية طلب مني بعض العلماء الأفاضل من أهل السنة والعترة الطاهرة أهل المدينة المنورة وهو السيد أمين رضوان، نفعني الله ببركاته وبركات أسلافه الطيبين الطاهرين أن أقرظ هذا الكتاب المسمى بالدولة المكية بالمادة الغيبية تأليف الإمام العلامة الشيخ أحمد رضا خان الهندي، كان قبل ذلك كاتبني إلى بيروت في هذا المعنى الشيخ الفاضل العالم الكامل العامل الشيخ كريم الله الهندي، فلما أرسله إلي هذه المرة السيد عبد الباري حفظه الله قرأته من أوله إلى آخره. فوجدته من أنفع الكتب الدينية وأصدقها لهجة وأقواها حجة، ولا يصدر مثله إلا عن إمام كبير، علامة نحرير، فرضي الله عن مؤلفه وأرضاه، وبلغه من كل خير مناه.

أما ما يتعلق بالرد على الوهابية ومما يدعي الاجتهاد المطلق في هذا الزمان، فقد استوفيته في كتابي شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ وأما ما يتعلق بعلم رسول الله ﷺ بتعليم الله تعالى فقد استوفيت الكلام عليه في كتابي المذكور وكتابي حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ﷺ.

وأختم كلامي بسؤال الحق تعالى بجاه هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم أن يكثر من أمثال مؤلف هذا الكتاب الأئمة الأعلام حماة الإسلام المتصدين للرد على الكفرة والمبتدعين اللئام، فإنهم من أفضل المجاهدين الذابين عن حوزة الدين. الحمد لله رب العالمين

وكتب ذلك بقلمه الفقير الحقير

يوسف بن إسماعيل النبهاني

في المدينة المنورة في صفر الخير سنة ١٣٣١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم لا ابتداء لوجوده، الباقي الذي لا نهاية لفضله وجوده، المتوحد في ذاته وأفعاله، والغني عما سواه لعدم افتقاره وتمام كماله، الحي القيوم الذي قامت به جميع المكونات والمخالف لسائر الحوادث والموجودات، المنفرد بعلمه القديم، المستقل بتفصيل ما كان وما يكون، والمحيط بما لا نهاية له على ما هو عليه في نفس الأمر في جميع الشؤون، دبر الأشياء وقضاها على حسب علمه الأبدي، وأوجدها على وفاق ذلك التعلق القديم السرمدي، والصلاة والسلام على أكمل المخلوقات، الذي اختصه مولاه بأرفع الكمالات وأسنى الخصوصيات، واسطة عقد النبيين والمرسلين، ومقدم جيش الأصفياء والمحبوبين، ترجمان القدم، منبع العلم والحلم والحكم، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. آمين. أما بعد:

فقد سرحت نظري في هذه الرسالة الموسومة بالدولة المكية في المادة الغيبية لمؤلفها العلامة الكبير ،والفهامة الشهير، الألمعي المحقق، اللوذعي المدقق، الشيخ أحمد رضا خان فوجدتها دوحة جمعت خلاصة مذهب أهل الإسلام، وروضة قد اشتملت على زبدة عقائد أهل الإيمان والإيقان الأعلام، خالية عن عقائد الزائغين، وبريئة مما رماها به أهل الانحراف وعصابة المفترين، إذ لا خفاء أن العلم الاستقلالي المحيط مختص بحضرة الرب سبحانه وتعالى، إذ لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئاً كما قال في محكم الكتاب المكنون الذي ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩) ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، أي لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وأما أن يطلع الله سبحانه خواص خلقه ويعلمهم علوماً يعلمها غيرهم وهم لا يعلمونها لولا إعلام الله لهم، فهذا لا شك في جوازه، ولا في وقوعه كما قال سبحانه وتعالى:﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (سورة الجن آية: ٢٦-٢٧) الآية.

وهذا ليس علما استقلاليا لهم بلا سبب بل هو متوقف على إعلام الله لهم، فبناء عليه الصفات المشتركة بين حضرة الرب وعباده كالعالِم مثلاً إذا أضيف إلى الله تفسير بمعنى يليق به، وإذا أضيف إلى العباد تفسر بمعنى يليق بهم. فلا شك أن الله قد أطلع نبيه ﷺ على علوم اختصه بها لم يطلع عليها غيره إذ هو أعلم الخلق بربه وأعرفهم به، وهو أول الأنبياء كوناً وأخرهم بعثاً، وهو الجامع لجميع كمالاتهم ولزيادات لا يعلمها إلا الله تعالى.

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

كتبه خادم العلم الشريف محمد أمين سويد الدمشقي عفي عنه الوارد في المدينة المنورة ألف ألف صلاة وألف ألف سلام على منورها تحريراً في ١٦ شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣١ الهجرية قال بفمه ورقم بقلمه

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمولانا المرشد من استرشد والصلاة والسلام على رسوله الذي بالمعجزات تأيد. أما بعد:

فلما من الله علينا بزيارة قبر سيد الوجود ﷺ في شهر رمضان المعظم سنة ١٣٢٩ للهجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية أطلعني بعض أفاضل المدينة المنورة على هذه الرسالة المحررة المسماة بالدولة المكية في الرد على الوهابية لمؤلفها الفاضل أحمد أفندي رضا جزاه الله أحسن الجزاء ولعمري فلقد جمع فيها من الأدلة ما به الكفاية، ولا ينفع الحسود تطويل العبارة، أيد الله علماء السنة والجماعة. وخذل أهل البدع والضلال. وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والحمد لله رب العالمين.

كتبه عبد الرحمن أحمد خلف الحنفي

المدرس بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾

(آل عمران: ٨)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صاحب الرسالة سيدنا محمد ﷺ. وبعد:

فهذه الرسالة جليلة المقدار، عالية المنار، جزى الله مؤلفها عن الدين الحق والمشرب الصحيح خير الجزاء، نفع به كل من تلقاها بالقبول، وجعل مؤلفها على الدوام سيفا مسلولا في رقاب أعداء الدين.

كتبه

إبراهيم عبد المعطي السقا حفيد المغفور له العلامة السقا

المدرس بالأزهر

فهرس